

روايات عبير



مَآرَجُورِي لَوْتِ

الماس إذا التهب!



الماس إذا التفت!

بين الطموح والحلم علاقة خفية. كذلك بين القدر والحظ وفي هذه الرواية يلعب الطموح لعبة الوصول إلى الحلم والقدر يهيء حظا سعيدا ، لكن لمن ؟

لتوني الفتاة الكادحة التي سرعان ما ترى نفسها وسط عالم الألماس والمجوهرات ، أم لأمنها التي تدرت حيلاتها لرجل فنان لم يأبه للعالم ولم يترك من سقط المتاع سوى لوحات مخبأة في كوخ ريفي ؟

أم للغاري الذي فقد زوجة لم يكن يحبها فعاد والنفس توني التي تشبهها إلى حد بعيد أصابه بالتراجع والذهنة .

بين دفني هذه الرواية أقصى ما يمكن أن يصل إليه الطموح وأبعد ما يصبر إليه الحلم ، لكن ليس الأمر كله بهذه السهولة...

١ - مقابلة أم شجار ؟

أثقت الأستاذة بلال حرم مكتبها نظراً على توني . وقالت :

مستكون وظيفة ممتازة ، لشركة وارنيز من أشهر شركات المجوهرات ، وعندما
تذهبون للمقابلة غداً ستكون هناك أنثريات من طالبات الوظيفة ، وكذلك فإن
الرجل الذي سيجري لك المقابلة ليس من السهل إرضاءه ، ومع ذلك فليس ما
يحتاج أن تهزيمي حظه... سأزيت حديثاً الحسن حفاً ولكنك قادراً على شغل هذه
الوظيفة ، وألاً لما رشحته لك... لقد عملت سنتين في وظائف مؤلفة وتشاريفك
جيدة ، وحسن الوقت لتتخطى عملاً ذاتياً ، خاصة وأنت تتولين أن والدك...
وحدثت توني في المرأة الأكبر سناً وقد أحست بشيء من المفاجأة ، فلم تكن
تعتزم أن تذكر ذلك للأستاذة بلال وقالت :

نعم إلى حد ما... فهي تعمل بالنظرين وتتحصل أجر السكن موزعاً
وكتبت الأستاذة بلال شيئاً على بطاقة وضعت بها عبر المكتب وأبجست وهي
تقول :

«هنا... بالأستاذة وارنيز وبالتأنيب فإن اسمك يطابق اسم الشركة التي أُرشحك
للعمل فيها وقد يكون هذا فائلاً طيباً»

وخطر لتوني سؤال عما يكون عليه موقف الأستاذة بلال لو عرفت أن
بنيامين وارنيز رئيس شركة وارنيز للمجوهرات في شارع بوند ستريت هو
عنها الأكبر ، رغم أنه لا يعرف ذلك ولكنها كانت تشك في أن تهتم الأستاذة بلال
بذلك .

وبهتت على قدميها كانت هيلانة ذات ثوام جميل، يميل شعرها الأسود إلى
الاصفرار وتغير ملامحها عن الاستقلال، وقالت:
«أشكرك كثيراً يا أنسة ببلاده، سوف أكون على اتصال دائم بك وسأخاطبك بما
يحدث».

وأخذت البطاقة التي تحدد لها موعد المكالمة ووضعتها بعناية في حقيبته يدها،
وجعلت الدرج، وانطلقت في شارع أكسפורد.

كان الجو في أواخر نوفمبر/تشرين الثاني ينظر بشتاء قاسٍ والنهار شديد
البرودة، وبدأ الثلج يتساقط وسرعان ما وجدت توني نفسها تتدافع بالمناكب
لتشق طريقها وسط الزحام، ولم تتوقف كمعادتها لتلقي نظرة على نوافذ العرض
المجانية. وكانت تفكر في أن تشتري هدية متواضعة لأميها ذلك الأسير.

هوى لا يكاد يصدق - على الإطلاق - من آلاف الشركات في لندن لمختار
الأنسة ببلاده شركة ولويوز لترسلها إليها، وفي الليلة السابقة فقط كانت
أمها تقول:

«هل تعرفين يا توني، أنني أحس أن غريب أن شيئاً سعيدياً سيحدث».

كانت السيدة دارين تجميع بين الأصدقاء لهم والعمية ولكنها لم تعلم دائماً
بعيادة أفضل. كان زوجها فتناً استولت عليه نزعة القنينة. وكان عليها أن تقبل
بما لموضع عليها، ولكن أعلامها ظلت تراودها طوال حياتها وكثيراً ما قالت
لتوني:

«على يوم من الأيام سينال أبوك ما يستحق من تقدير وتعرض لوحاته في أشهر
المعارض في العالم، وعند ذلك يعيش حياة جديدة فيها السرور، ولديها التعرف على
المشاهير» - ليس مجرد أن...»

وكان يوسع توني أن تكمل:

«نقرر على أنفسنا، ونكدرج طول الوقت».

ولكن أمها لم تكن تشكر وكان شعرها الأصفر المزغب وقمها الرقيق يتناقص
مع طبيعتها الشجاعة الصارمة، لقد عاشت في كوخ صغير في ديفون حيث

الحيلة الرخصة وحيث تزرع ما يحتاجه الأسرة من خضار في حديقة الكوخ
الضخمة، وكانت تصنع ملابس أيتها توني ولبسها من الألبس نفسها
وبعض ملابس زوجها، وتصل كذلك في التطريز.

وعندما أكملت توني تطريزها في مدرسة السكرتيرية في الثامنة عشرة من
عمرها أصيب أبوها بالحمى وبه وقرحت الحالة إلى التهاب وتوفي، وبعزت سائر
العقارب عن انتقال حياته.

وتلذذ سهم القضاء، وتاقتت توني وأمها ما ينبغي أن تفعله، وقالت توني:
«يرسى أن أجد عملاً في مدينة إكستر لتجد ما تلتصق منه الإيجار ونعيش».

لكن أمها رفضت بشدة وقالت:

«لا... لا بد أن نرحل من هنا فوراً ونذهب إلى لندن».

ولفت توني قائلة:

«لندن؟ كنت أظن أنك لمحبين الكوخ والريف، وكل ما حولنا هنا...»

وأجابته السيدة دارين في بساطة:

«كنت أحب أهالي ولذا ولذا ولذا ولذا ولذا أن أعيش معه هنا، والآن ينبغي أن أنتقل إلى
مكان آخر مختلف تماماً، إلى حيث المحلات والأهراء والناس والأحداث، هل
تفهمين ما أعنيه يا توني؟»

وأجبت توني:

«أعتقد أنني أفهم».

وهل لمختارين معنى؟

وعاقت توني أمها وهي تقول:

«بالطبع! سوف آتي معك، وسأحصل على عمل وتكون لنا شقة صغيرة ونذهب إلى
المسارح والحفلات الموسيقية ونأكل في المطاعم الفخمة أهد بالندن! أنا في
الطريق إليك».

كان ذلك منذ عامين، ولكن الأمر لم يكن كما تصورتها، فأعمال النسخ على
الآلة الكاتبة كانت تدر دخلاً لا بأس به، والشقة التي وجدتتها في حي هورنس

مفرحة بقدر ما استطاعت السيدة وارين أن تجعلها ولكن للبرصية لم
لكن تسمح بالذهاب إلى الشارع أو المجلات الموسمية. وإن سمحت من حين
إلى آخر بالتوجه على السبيل مع وجبة عشاء يحصلها إلى البيت بعد مشاهدة
العرض. وواصلت السيدة وارين أعلامها...

وعندما خرجت توني من محطة تيون بإيد لين وجدت الثلج يتساقط بكثافة
أكثر ليتصق بشعرها ويهد طريقه إلى عطلها. وخلعت رأسها لتلا تواج الرياح.
وسارت في طريق غرين لينز كانت طوال الطريق لتقول أن تتخذ قرارها فيما إذا
كانت ستغير أمها عن المظلة المتغيرة نهار الثلج... كانت تعرف ما يمكن أن يحدث
لو ذكرت إحدى الصدفة التي جعلها تلعب في مظلة عمل في شركة وارينز.
سوف تظهر الأم فرحاً من الفضة وتلتقي بالمكافأة لتجسد توني شبيهة
بستريلا. تنتقل من عمل مكتبي لفر إلى حيلة تاجر بالمظلة والفضة.
ورأت أنه من الأفضل ألا تصرخ بشيء حتى تنتهي المظلة... أن لم يكن عنده
ضمان بأنها سوف تحصل على العمل بحال من الأحوال...

وتكرت الطريق الرئيسي للزعم لسير في شارع جاني هو شارع نيات
الأثري حيث تسكن ويملك فلما شرع زهرة الربيع على أحد جانيه وشاع نيات
السط على الجانب الآخر بل يتأمل سائر التوارع الأخرى القصبة المستقيمة
التي تأخذ شكل مربع على الطريق الرئيسي.

وأعطت توني مفتاحها في الباب رقم ٢٥ وكررت تصعد المخرج إلى أول
باب يواجهها. وكررت لو أن أمها موفقة في عملها فسوف تحتفظ توني بنياً
المظلة لنفسها أما إذا كانت الأمور سارت على غير ما يهوى فسوف تغيرها لتربح
من روحها المعنوية.

ولمحت غرفة الجلوس. كانت السيدة وارين تجلس إلى موائد الفلز تخدم
بعض الحيز وبدا عليها التشاوم وآلة التطريز تقع في ركن الغرفة هائمة تحت
غطاء من البلاستيك. فلا طلب على العمل.

ولمحت عينا السيدة وارين وضع ذلك بدا على كتفها شيء من الزهر عرفت

توني أنه موفقت لأن أمها لا تقبل بالاكتمال لفئة طريقه.

بأعلا بالعزيجي حاضي لبتك الحبيبة... ملاسها عطة وشعر بالمرح والصباء
وأبست توني وعانت أمها التي نهضت حين فتح الباب. وواصلت
تقول:

«ياي معافقة... جيت ملاسك تيل من ملاسي»

ولمعت السيدة وارين شعرها الأشر الناعم إلى الخلف. وقالت:

«لا تقني يلاً... معيني أخذ مطفئ وطايل. وأضي لندي ليهاك وستشرب
الثلي غوراً»

مضت توني غرفة النوم واستبدلت ملابسها بتلوناً وبلوزة فضفاضة
وطغت شعرها. وأصت بالنفس والراحة والرفق عندما سمعت صوت الأطفال
والملاحق والشوك من الغرفة المجاورة... وصوت الموسيقى الشعبية الذي يهيء من
شقة مجاورة.

وعادت إلى غرفة الجلوس ووجدت العربة الصغيرة للمحركة مسطرة قرب
المذلة وعلى كل من جانبيها كرسي عليه وسادة مريحة. بدا جم على العربة
أريق شاي قصير وكومة كبيرة من الحيز المخصص المظلي بالبنة والطياف شبيهة
من السك وكسكة الزنجيل المصنوعة في المنزل.

ولمحت توني في أحد الكراسين وسارت تتناول الطعام بشهية وهي
تقول:

«هيك من يوم»

وكرت السيدة وارين رأسها مازحة. وقالت:

«لعم أجد عيلاً واحداً يكفني بعمل. حتى السيدة فليس لميت فني وكنت
أعتمد عليها بكل شيء. ولكن ماذا عنك أنت؟ هل ذهبت إلى الكنيسة يلاً؟»

وأومأت توني برأسها. وقالت:

«ولقي مظلة لعمل دائم فدا...»

«هاتم؟ هل تقبلته؟»

«قد أقبل... إذا كان المكان مناسباً، وحيناً لي أنه كذلك هذه المرة»
شيء عظيم»

وسكبت أمها الشاي وأعطتها الفينجان، وواصلت:
«ما اسم الشركة؟ وأين مكاتبها؟»

وارتشت توني شيئاً من الشاي، وقالت وقد ارتستت على قهها ابتسامة
رائقة،
«أحزري»

وهزت أمها رأسها عاجزة عن الإجابة، فواصلت:

«قد تدعشين... فإن مقابلتي مع... مع... وارينز في بوند ستريت»
«وارينز؟ أنك لا تعنين»

«أنتي أعني بالفعل شركة وارينز، أألمها الأثرياء»

وتنهلت توني وواصلت:
«ما رأيك إذن؟»

وأطبق الصمت على الأم لحظة، وشحب وجهها فجأة، ولكن بدأ الدم يعود

معتدلاً إلى وجهها، ولعت عيناها بالدخشة، وواصلت توني تقول:

«ولكن لا تعولي على ذلك كثيراً، فالوظيفة ليست في يدنا بعد»

ولكن جلست أمها بلفح غرورها، وقالت:

«سوف تحصلين على العمل يا عزيزتي توني، أعرف أنك ستحصلين عليه»

أصغت بهذا الشعور منذ أيام، فلت لك أن شيئاً طيباً سيبلغ أتم أقل ذلك»

وتنهدت في سعادة وواصلت تقول:

«كل سنوات الأمل والتشني، والآن مولد حياة جديدة لنا»

«يا أمي، لا تطرفي في التفلؤل! ماذا لو أخفق كل شيء بعد ذلك؟»

وهزت السيدة وارين رأسها، وقالت:

«لا تحاولي يا عزيزتي، لا تؤعزي نفسي! أما عن طلبات الوظيفة الأخريات فما

الذي يتيسر به عنك؟ ثم لا بد أن تخبرهم أنك تقنين بصفة الفراية إلى رئيس

الشركة فهذا في صالحك»

وارتفع حاجبا توني، وإتست عيناها الرماديتان، وقالت:

«أخبرهم! أعقد أنك لا تقنين أنني سأفعل ذلك»

وردت أمها في شيء من التأكيد:

«يضي أن تخبرهم! ليس ثمة خطأ أو شبهة في ذلك»

«ولكن، لكن يا أمي، كنت أعتبر أن كل ما يقال عن أألمها الأثرياء مجرد مزاح»

وتذكرت توني أيام عاشت في الكوخ بمرارة محدودة للغاية والأب لا يبيع

لوحة من لوحاته لشهور عديدة، وكانت الأم تقول:

«لماذا لا تلعب إلى عمك بنيامين في لندن يا فرانك؟ لا لتسول منه، ولكن

بمجرد تعرفه بنفسك، فقد يهدي اهتماماً بعملك وربما يجعل إحدى لوحاتك تزين

مكتبه أو غرفة الاجتماعات، وعند ذاك يراها الناس، الناس الأثرياء، ذور النفوذ،

وربما يؤدي ذلك إلى كثير من الارتباطات»

ويشم فرانك وارين ويتحدث في صوت خافت ليقول:

«نعم يا عزيزتي، ونفسي الفضة إلى أن يكون للآمال أجنة تطير بها»

وعند ذاك يضحكون، وتضحك مسر وارين أكثر من الجميع، وخشيت

توني أن يكون الأمر بالنسبة إلى أمها أكثر من فكاهة قسالتها،

«أما! أرجو ألا تكوني جادة»

وعالت الأم في كرسيها إلى الأعلى، وقالت:

«أنتي جلدة تماماً يا حبيتي! أريد لك أن تعيش حياة أفضل من الحياة التي

عشنا»

ولاذت توني بالصمت، وأصت بعيني أمها تتركزان في قلق عليها، لم بعد

صوت الموسيقى الشعبية من الشقة المجاورة في ذلك الوقت مألوفاً كما كان،

وهزت توني رأسها في حزم وقالت:

«لا أستطيع»

«ولكن»

فانصت يا أمي! المسألة ليست أنني متكبرة أو شاذة أو فريسة من هذا القبل. كل ما أعرفه أنني عندما أصل إل هذه النقطة لا أستطيع.
وساءت أغريتم أبتست السبعة واربن، وقالت:

هناك مثل أباك يا توني، حسناً إذا كان هذا رأيك فلن نتحدث في هذا الموضوع بعد الآن. ولكن سنذهب لأتمام المقابلة عديني بأنك ستفهمه
وضحكك توني وقد أمنت بالارتياح، وقالت:

نعم، سنذهب للمقابلة وأعد بذلك، وسأبذل جهدي لأحصل على الوثيقة لأنها على ما يبدو وثيقة مناسبة.

وأومأت مسرّ واربن برأسها وقالت:

صوف تنتظر ونرجو خيراً بقلن الله، والآن - لتكلم في شيء آخر.

عمل أحضرت الكميات الخاصة بالرحلة إلى استكتنداه

وأضينا بقية المساء في حديث حول رحلة في حربة لبرها الجهاد في استكتنداه. وكان الحديث مادة للأحلام كذلك لأنه لم يكن من اللازم أن نتاح لها للوارد للقيام بكل تلك الرحلة.

وبدت على توني البهجة فقد ارتاحت لأن أمها ظهلت الموقف بالنسبة إلى المقابلة التي كانت ترمع انماها في اليوم التالي، وعندما نهضتا في النهاية لفرضا الأطباق، من الثلاثة عاتلت توني أمها وقالت:

«أشكرك على تفديرك لموقفي يا أمي. وسأبذل جهدي خيراً»

أما لأول مرة دخلت فيها توني إلى أحد محلات المجوهرات - حياً تحملها الذاكرة - فكانت عندما حضرت إلى لندن لأول مرة، وذهبت لتشتري لنفسها ساعة يد لتكسب رضى من تعامل معهم من أصحاب الأعمال الذين يحرصون بعلاقة خاصة على ضبط المواعيد، وكان في محل المجوهر ذلك صوف من خواتم الخطوبة والزواج وضمت على رف زجاجي وكان على الرفوف كذلك أوزار قصصان ذهبية وألبريق زجاجية مطلية بالفضة خلف مجموعة منتقاة من ساعات التنبيه. وكانت تعرف أن شركة واربن في شارع بوند ستريت لن تكون

شيئاً مشابهاً لذلك دخلت إلى داخل يشبه إلى حد كبير كهف علاء الدين الحياقي، كما كانت تتخيل في الليلة السابقة، وغاصت أقدامها في سجادة صغيرة فاخرة حيث أنها لا بد أن تكون من الترقى السحر، لم يكن هناك طاولة بسند زجاجي وإنما كانت هناك طاوستان حطرت على قوائمها زخارف ذهبية وإلى جانبها كرسي صغير ذات أفروع غطيت بتجديد من البروكار الأحمر وكما كسيت الجدران بالكتب بينما تطلعت من السقف ثريا كريستال وفي أحد أركان الغرفة ساعة حائط كبيرة قديمة مطعمة، تعلق في ركن، وأحدى السكرتيرات اجلس على كرسي في أمانة شعرها الفضي، تلبس سترة غراء ثمين وعلى أقدامها خواتم ثائلة، وأمامها بائع في أواسط العمر يلبس بذلة فاتكة ويعرض على المفضل الطيفي الأسود الذي يغطي الطاولة بمجموعة من الدبابيس وأحتت توني بشيء من الحرج إذ كانت تلبس سترة عادية من الجلد. واستدارت إلى المشرف، وقالت:

«عندي موعد في الساعة الثانية عشرة، واسمي الأنسة واربن...»

وحقق الرجل فيها وقال:

«الآنسة آر... واربن»

وابتسمت، وقالت:

نعم»

وقال الخادم:

«أرجوك أن تنتظري هنا لحظة يا آنسة، وسأجد من يصحبك إلى الطابق العلوي»
وعاد معه امرأة نحيلة في بذلة أنيقة تلبس أظرافاً مطعمة ببعض حبات اللؤلؤ الرقيقة، وسحبت المرأة تنادياً في صوت خفيض مهذب:

«آنسة واربن المفضل معي»

وصارت أمامها من خلال فتحة مفرقة إلى غرفة أصغر شبهة بالفرقة الأولى. وفي مؤخرة هذه الأخيرة سلم عريض له حاجز مزخرف يؤدي إلى ردهة مطعمة بالسجاد في الطابق العلوي، وعلى باب إلى اليمين لافتة حطرت عليها الكلمات السيد ج. نودون، وطوقت مراقبة توني الباب بخفة وجد صوت من الداخل

يقول:

«أدخل»

وأحست توني باضطراب عصبي في معدتها لقد تالتت بين مكتب النسخ على الآلة الكاتبة وشهدت الكثير من أساليب تنظيم تلك المكاتب، ولكن لم يسبق لها أن شهدت مكتباً كهذا... لم يكن هناك شيء من جو الألفة الذي تعودته وبدا كل شيء غريباً بالرسيمات والقبلات كذلك أنه يفرق بشكل زائد في الأناقة... وتذكرت وعداً لأمها بأن تبذل جهودها لتحصل على العمل، وعليها الآن أن تدم للمقابلة.

كانت الغرفة صغيرة أثبتت بمكتب ضخم من خشب الماهوجني جلس خلفه رجل يتشغل بالكتابة بينما انتشرت على المكتب بعض الكتب والمففات والأوراق... وأحست توني بأن المكان ينفس شيئاً من الترتيب وزادت ثقتها بنفسها بعض الشيء.

وأخذت المرأة حزمة من الأوراق من على طاولة جانبية ووضعتها على المكتب، وقالت:

هذه آخر طالبة للوظيفة يا سيد لورنس.

وأجاب في تشاغل، بدون أن يرفع رأسه:

ممتازاً، أشكرك يا سيدة جينز.

وأشار إلى توني بإشارة مبهمة:

باجلسي.

واستمر في الكتابة، والسحب السيدة جينز وأغلقت الباب، وجلست توني تنتظر، كانت تعرف من خبرتها خلال عامين الأساليب التي تستخدم في المقابلة. فبعض المسؤولين عن المقابلة يظهرون بظهر ودي ويتبعون لمن يؤدي المقابلة أن يكون على سجيتهم... بينما يحاول آخرون أن يجعلوا من يؤدي المقابلة يحس بالقلق وعدم الارتياح وتقص الكفاءة. وهناك فئة أخرى صغيرة جداً تنظر نظرات خبيثة. وأخذت تفكر في الرجل الذي يجلس على الجانب الآخر من المكتب ومن أي فئة

يكون؟

لم تستطع من المكان الذي يجلس فيه أن تتبين لمبدأً للامح وجهه ولكنه بدا أكثر شبهاً مما توقعت، في منتصف الثلاثينات من العمر يظهر حازماً بتكبيته المريض وسرته الصفوية الرمادية. أما قميصه فكان من الكتان الأبيض المتسرح مع رباط عنق من الحرير الفرنسي الأحمر، وبدت أزرار القميص الذهبية تلعب في عصبية.

وطالت فترة الصمت، وواصل عمله في الكتابة وبدأت توني تشك في أنه من النوع الذي يعيش فيه أفاريجا الأثرياء فلن يكون الجو الذي يلائمها بأي حال من الأحوال. وأحست بالرغبة في أن تنهض وتنصرف وكانت تفعل ذلك إلا أنه في تلك اللحظة بالذات رفع رأسه ونظر نحوها.

وحدث شيء غريب للغاية لقد استمر يجثو إليها، وحذقت توني قهقهة بالليل، لم تكن ملامحه تدل على شيء ولو لم تكن تعلم أنه ليس بهن وبهنا أية صلة سابقة لطقت أنه كان يحاول أن يتذكر صلة قديمة بينهما. كان كمن أصيب بشيء من الصدمة، ولقت أنه لا يد أن يكون لها شبيهة في مكان ما.

وبدا يتحسس الأوراق التي وضعتها السيدة جينز على مكتبه بدون أن يحول عينيه عن وجهها. وأحست بقلق حقيقي... لم تحول بصره إلى الأوراق أمامه، وقال:

هانت الآنسة وارين؟

وابصت وقالت:

نعم، مصادفة أليس كذلك؟

وعلود النظر إلى الأوراق وواصل يقول:

هانت من طرف الآنسة هلاك وعمرك ٢٦ عاماً، أما عن خبرتك السابقة...

ونظر إلى الأوراق على نحو سريع خاطف لم أزعجها جانباً وأسد ظهره إلى الكرسي، وقال:

ممتازاً، يا آنسة وارين، يبدو أنك حضرت إلى هنا في مهمة فاشلة، وأعتقد أن

الآنسة بلانو لا بد أن تكون أسلمت لهم رسالتني، لا أوضححت لما أتيت لوريد
شخصاً أكبر في السن بطيرة أكثر مما لديها، فحين نحتاج إلى موثف من نوعية
خاصة للغاية، ولذلك طائني أسلم.

وأصحت توني كأنه صفعها على وجهها ولم تكن تصدق كلمة واحدة مما
قاله... لا... لا بد أنه أصب بكراهية فورية لما لأنها ذكرته بشخص لا يريد أن
يذكره.

ونصبت قاضيتها وأصحت أنها لن تغد شيئاً بعدما ظننت الأمل في الوظيفة. ولم
أجد سبباً يمنعها من أن تجعله يعرف بصراحة رأيها.
وبدأت تسأل:

هل لي أن أسأل ما إذا كانت الوظيفة المعروضة هي وظيفة سكرتيرة لك؟
نعم... كانت كذلك.

وهذه ذاك قالت.

ظنن لا داعي لأن تشعر بأي أسف، لأنه لو عرضت على الوظيفة لرغبت فيها
بكل تأكيد، إن كل شيء هنا يبدو أنيقاً وحريراً بدون شك، ولكنني أفضل أن
أعمل في مكان أكثر الفقة. لا يتركز العمل فيه حول الأثريه. الثقة المحفوظة.
قالت ذلك وهي لا تدرك أنها تردد ما كانت تسمعه عن أبيها كلمة بكلمة.
ونفض السيد لورنس وقال لي بوجه:

هنيء يستحق الاهتمام، وأفزعج أن تهجي عن وظيفة تنفق مع فوكسه. ولا
تضحي ولقي أطول من ذلك.

وأبست ابتسامة الانتصار إذ نهجت في القدي ثقته ولو للحظة. وقالت:
أسعدت صباحاً، يا سيد لورنس.

قالت في علوية، وخرجت من المكتب ترفع رأسها عالياً.

وعلقت الدرج، واجتازت عرشي عرشي المجهرات، وحيثما الحارس الذي قدح
الباب الزجاجي التلجليل بقوله:
أسعدت صباحاً يا آنسة.

وأومات برأسها في لباقة، وانصرفت. وخرجت إلى بوند ستريت وأصحت
بريح شديدة البرودة تفلح رسني قديمها وهي ترتعد من الزهن في أعماق نفسها.
وتوقفت للحظة بجانب نافذة عرض واريتز لتستجمع قواها. ونهجت في ذلك.
وبحثت عن متديها، ونفذت أنفها واستدارت بعيداً عنها. يكاد لي عائد إلى
بيتها.

ولم تكن قد اجتازت أكثر من خمسين ياردة عندما أدركت أن شخصاً ما كان
يتنادي اسمها بطريقة متكررة، وتوقفت لتجد حارس البوابة الذي يميل إلى كبر
السن يجهد في الزها يقول:
آنسة وارين.

لماذا وهو يلهث، وشعره الخفيف تمثت به الريح.

آنسة وارين، من فضلك، السيد لورنس يرجوك أن تعوض، انه يريد أن
يتحدث معك مرة ثانية.

وترددت توني بعض الشيء بينما كان المارة على الجانبين ينصرفون من حولها.
كان البواب يحمل على يافته اسم واريتز في حروف ذهبية مزخرفة وروأت
أنه من الأسلم أن تستجيب له حتى لا يظن أحد أنها تفر بتيء مسروق، وقد
أخذ بالفعل واحد أو اثنين من اللارة بالنظر إليها نظرات استغراب.
وهكذا اضطرت على مضض أن تعود إلى المحل. بعدما ظنت أنها قالت كلمة
الرجاع إلى الأبد لذلك الشخص الكرهه السيد لورنس.

وأخذت تفكر فيما عسى أن يريد منها!

شخصياً لأذكرك بمسكة الدم، وأعتقد أنه حان الوقت لننسى خلافاتنا العائلية بعد هذا الوقت الطويل ولعلك توافقني على ذلك.

المختلصة:

مارغريت وأوين

وأنت توني بالرضااة وقالت لي صوت ظيفر.

وأنا أسفة لها، أخطأت أُمي بأن كتبت اليك بدون أن تخبرني.

كان الرجل المهيب ينظر اليها في اهتمام، وحول بصره إلى الرجل الواقف إلى جوار المدفأة وقال:

موضح لي يا غرات لا أكاد أفهم شيئاً، هل جاءت الأنسة وأوين لتشغل وظيفة السكرتيرة؟

بالضبط يا سيدي.

حركت تجري لها المقابلة عندما فضضت الرسالة وأرسلت اليك أطلب رؤيتها.

ماثلقت أنها أرسلت إلى الوظيفة خطأ، وكانت قد انصرفت.

ودعت توني لذلك التحويل الجريء للحقيقة، ورفعت بصرها لتجد غراي ينظر اليها كأنه يتعدها أن تنكر ما قاله فاستول عليها انفعال بالفضب والتفت إلى السيد وأوين تقول:

هكذا ليس صحيحاً فليس ثمة خطأ في تقديمي لهذه الوظيفة، ولقد واجهني السيد غراي لأول وهلة بأنني سمعت وقتي بحضوري وأنتي لست على الاطلاق من يريه.

كان وجهها الأشقر المائل إلى السمرة يتحدث في لفة وجهها الصافيتان تلمعان في غضب.

واينسم اهتمام جافة قتلاً.

تحدثت كعضو في أسرة وأوين فاعاء.

وواصل يقول:

عاصمني عن الطيش يا عزيزتي، أعتزف أنني أشعر على الأمل أنني لست

٢ - لأنها تشبه زوجته!

لم تؤخذ توني في هذه المرة إلى مكتب الطابق العلوي، بل إلى غرفة خلف قاعة بيع المجوهرات، ووجدت السيد لورنس يلقب إلى جوار المدفأة في شيء من اللامبالاة، بينما نقلها جو الغرفة إلى المصور التاريخية.

وتقريباً من المدفأة كان كرسي له ظهر مرتفع جلس عليه رجل مهيب يميل إلى كبر السن، تصورت توني أنه بنيامين وأوين عامل الأسرة التي تركزت حولها أصالي أمها في الثراء، شعره أبيض ورباط عنقه حريري يبرز منه دهرس ذهبي، ولحية بيضاء سريت بعناية ومونوكل يتدلى حول عنقه وعينه رماديان صافيتان ليها شبه كبير بعيني أبيها. وقال في صوت رقيق مهذب:

«أنت الأنسة وأوين؟ اجلسي! أحضر لها كرسيّاً يا غراي»

وأحضر لها الكرسي فقمعت بالشكر، وواصل الرجل المهيب يقول:

«والآن يا أنسة وأوين... ربما يحسك أن تشرحي لي هذا»

وأخذت توني ورقة أعطاها أهلها ونظرت فيها وبدأ عليها فجأة شيء من الشك الفطيع فقد قرأت بخط أمها رسالة تقول:

عزيزي السيد وأوين،

إلك لا تعرفني، ولكنني أرملة قرائك وأوين ابن أخيك الذي مات في إيطاليا منذ سنوات، قررت أنه ربما يحسك أن تعلم أن ابنتي أنطونيا وهي الابنة الكبرى لحفيدة شقيقك ستجري مقابلة اليوم مع مدير أعمالك، وهي تحس بخرج كبير منها من ذكر علاقة القرابة التي تربطنا، ولذلك أكتب اليك

العصر الأخير في أسرة وارين كما كنت أظن.

وانتحت توني لمجاهدة قائلة:

مفكاً فأنت تعتقد في صدق الرسالة، كنت أختي لم تظن أنني مدعيرة

هولم لا أصدق؟

كان صوته رقيقاً، وواصل يقول:

«إن وجهه أشبه واضح بدرجة كبيرة، ولعلك رأيته يا غراي؟»

ورأت توني النظرة التي تبادلها الرجلان، كانت نظرة مليئة بالفضول ولم

تستطع أن تفهم كل ما تعنيه، وعلقت غراي لورنس قائلًا:

«طوره نعم لقد رأيته»

وأخذت توني شخص من يكون ذلك الشخص الشديد الشبه بها الذي جعل

لورنس يتخذ منها ذلك المؤلف، وعاد إليها المخرج أقوى مما كان لمذا كتب

أصها تلك الرسالة؟ لم يكن في نظرها شيء أمل يرجو من محاولة إحياء علاقة مراهقة

اندلعت منذ زمن بعيد، فقد مضى أكثر من خمسين عاماً على المشاجرة التي جعلت

جسداً يترك الأسرة ولكن عالم بنيامين وارين علماً يختلف تماماً عن العالم التي

تعيش فيه هي وأصها الآن.

وابهتت في شيء من التهور واصطنعت ابتسامة وهي تقول

«أشكرك لأنك صدفتي وأسفة مرة أخرى لتجروا أمي على الكنتنة اليك... لقد

أهديت كرمًا زائدًا لمجاهدي ولكنني لا أطيع في أن تحسني تلك القراءة اليمينة

باعتقائكم. وهذا الموت لي ثاني أنصرف وأكرر شكرتي»

وهز بنيامين وارين رأسه وقال:

«وانك تتحدثين في لياقة تامة يا عزيزتي ولكن كلامك غير صحيح على الإطلاق»

فالحق أنني أحس بالدهام زائد للثقافة بك والعلاقة بيننا ليست علاقة جيدة على

الإطلاق، هل يخطر لك أنني لا أريد أن أعرف أخبار أخي - جدك - الذي هجر

الأسرة في يوم من الأيام وكاد يحطم بذلك قلب أمي لأنه رفض أن يأخذ مكانك

في عمل الأسرة؟ هل خطر لك أحاسيس بالأسى عندما جادت الأخبار بأنه قد في

الحرب الأولى وأنتي بعد وفاة أمي لم أبذل أقصى جهدي لأستكشف ما لنا كلنا

على قيد الحياة؟ أما زلت تتعجبين أنني لا أريد أن أعرف عنك كل شيء يا

أنطونيا؟

«آه... أسفقت... لم أكن أنظر إلى الموضوع هكذا»

وجلست على حافة الكرسي من جديد، وقالت:

«أرجو أن تسألني ما شئت من أسئلة وأسأجب بكل ما أعرف، ولكنني لم أن

جدي، فقد مات قبل ولادتي»

وأولاً بنيامين وارين وقال:

«نعم... نعم... بالطبع... ولكن هناك أشياء أخرى... أشبه صغيرة»

«وخت الصوت الرقيق وأخذ يتطلع إلى الساعة النحاسية فوق رف المدفأة ثم

إلى الرجل المؤلف إلى جوارها. وقال:

«إنني أنظر مشكلة من بولستون في باريس خلال دقائق يا غراي وبعد

ذلك سأكون حراً لمدة ساعة تقريباً»

استدار إلى توني يقول:

«يرجوك أن تعطيني بعضاً من وقتك؟ أم لديك عمل تريد أن تذهب إليه؟»

«إنني غالية حتى الراحة والصلوة»

«حسنًا... ولذا فاسمحي لي أن أذهب إلى وجبة متواضعة في مطعم صغير ليس

بعيداً من هنا حيث تجد فرصتي للحديث... غراي؟ خط أنطونيا إلى مطعم

كلرلي وسأخبر بكيا»

«بكل تأكيد. تقبلي يا أنسة ولورين»

ونبهت توني وعينها تنجولان بينه وبين الرجل المهيب المجالس على

الكرسي. أما بنيامين وارين فكان يبتسم ابتسامة مشجعة، وقال:

«إنني معك يا عزيزتي»

وتبادل الرجلان نظرة لم تدرك توني مغزاها، ثم وجدت نفسها في غرفة بيع

للحجرات تصير إلى جانب غراي لورنس وتجلس بالجلس لم يسبق لها أن

أصبحت مثله، لو أنه فقط تحدث بشيء بديل عنها التوت، ولكنه كان يسر كآته
مالك المكان، وروى، كان كذلك بطريقة ما، فقد كان يساهم ولوين يستشير
ويعتمد عليه دائماً وأحياناً بأنه رجل بعيد وأختلست نظرة إليه جعلتها محس
بأن سترته صارت موهبة قنينة وأن حذاءه وفنائه وحقيقة يده كانت متواضعة
للغاية غير أن الشيء الوحيد الذي لم تدركه أنه يسر في وشاعة طبيعة يرفع
رأسه فوق القصر النحيل. ولم تكن تعرفي كذلك أن أبة امرأة محمد سألته
الطوبى لجنس النحسين وشترته الصافية وعبيد اللامعين كاللؤلؤ الصافي.

وبوقت غراي لورسي عند الباب وحاطب الخاروس قائلاً
«هتس! أرجوك أن تغير السيدة جيتز أني ستذهب بعض الوقت وإذا جذ ما
يستدعي الاتصال بي فائني في مطعم كارلي»
ولس بيديس قبضته، وفتح الباب لزوجتي التليل وهو يقول
«صباحاً وطناً يا سيدي»

وخرجوا إلى شارع بيوت صغرى وقال
«من هنا»

ووضع يده أسفل مرفقها ليرجئها إلى اليمين، وأخذاً بمجازان بين رحام النساء
والواقفين أمام بواقي «برسي» وأجست بأصابعه تضغط على ذراعها وقت لو أزعج
أصابعه بعيداً وأجست بالضغط حينما أصر على وضع يده على ذراعها فبهلت
خطوها يمينه ولكنها اصطدمت بسيدة سمينة غامضة من الأجناس للفساد
واضطرت إلى الاعتذار وحطبت ذراعها من جديد وهو يقول
«ما هذا الذي فعلته؟ أتريدين أن يقع كلانا على الأرض؟»

وسارا في عمر حقيق، وصحبا النرج إلى قاعة استقبال صميرة مريجة حيث
بالرء عضيف يرتدي سترة بيضاء بالفضية، وقال:

«صباح الخير يا جيفاني» سوف يحضر السيد ولوين خلال دقائق وأنتند
ذلك أحضر لنا بعض الشراب»

واستدار فل تومي يقول

«هنا تهرين»

لم تكن تومي قد تعودت على تلك الأجواء حيث تقدم المشروبات قبل وجبة
الطهية، وقالت:

«لوسوناه من لاسلك»

وارتفع حاجبها غراي بعض الشيء وقال:

«هههههك أن تطلي شيئاً أفضل من ذلك. أعمل حبالك يا عزيزتي»

وكررت في حرم وهي تبسم:

«لوسوناه»

انحنى الضيف قائلاً

«هههههك يا سيدي»

وواصل يقول

«ومشروك للمناد يا سيدي»

ولمضها إلى طاولة صغيرة وضعت بجانبها مائدة وثيرة، وانصرف وبدأ غراي

لورسي يقول:

«هههههك تلمين دورك بطريقة ماهرة، هل تعلمين سترتلك سيكون الجو شديد الدفء
داخل قاعة الطعام»

وفكرت في الرقص رغبة في الاعتراض، ولكن الجو كان شديد الدفء وحالت
أزرار سترتها الجلدية فأغلها عن كثفها بطريقة تكسب أنه يخلق صحة النساء.

وبدأت تسترخي في القعد الوثير على أمل أن يجلس في المقعد المقابل ولكنه
جلس إلى جولها وبعد سألته أمهه، وقال مقاملاً:

«هههههك تقومين بالدور بمهارة كاملة»

وددت تومي في صلاتة «لا أعرف عما تحدث»

وتشدد يقول:

«دور ذلك المرحه الصغير بعينه الواضح»

وأوما بالشكر لجيفاني الذي وضع المشروبات على المائدة، وواصل:

«أنا لا أكرهك... لا تخفي ذلك! إنني شديد الإعجاب بالطريقة التي خطت بها كل شيء. كم طال انتظارك لفرصة العمل مع شركة وارين أو كيف حصلت على تركية من الاتمة بلاذ؟ ثم تلك الرسالة التي وصلت من أمك في الوقت المحدد بالضبط واعتقد أنها جاءت باليد وكان هناك احتمال بأن يتوفي كل ذلك إن لا شيء.»

«وحيث أنني لم أكن أعرفها وهي لا تكلم تصلي وقالت»

«هل تعلمي أنني هربت كل ذلك لأتبع السيد وارين؟»

«طالما لا تقولين العم بنيامين؟»

«طالما في شيء من السرية وهو يتناول كأسه ولعل عيناها في يده» وقالت

«صباحاً العم بنيامين، إنه عمي رغم كل شيء، إنه عمي الكبير»

«ولم ألبها في شيء من التعتي وال»

«عزمت بطلب العمل إلى الشركة وكأنك لا تطعمين في أي شيء... أو إنك

«حالة الذكاء.»

«والفتت إليه فائقة»

«أنا لا أعقد أنني حالة الذكاء، لم تكن هناك مؤامرة ولم أكن أعرف

أن أمي كتبت تلك الرسالة وعندما تركت كنت اعزمت الانصراف وعدم الاقتراب

من وارين ثانية.»

«وأصابت في حيلتي»

«ولم أكن ما رجعت»

«وقال لورنس في رلة»

«لا تخفي ذلك! فكري في بنيامين! لقد أحس بمساعدة خفية لاكتشافه تلك

«الغاية المجهولة.»

«ونظر في كأسه وواصل يقول»

«الشيء الذي يصيري هو التعريف! لهذا لم يثر هذا الموضوع قبل الآن في السنة

«الماضية مثلاً أو التي قبلها.»

«واضعت توني انتملاً مطاباً بالنفس جعلها تنفجر قائلة»

«سامح يا سيد لورنس، أهدت عند اللحظة الأولى كراهية شديدة نسوي

«ورجعت إلى الاعانات بدور أن أنهم سيأ ذلك والله كنت لا تطيق الانتظار متى

«يمكنك أن تتصرف وتتركني وحدي.»

«وانظر صاحباً بطريقة أثارت كدوها الشديد ورفع كأسه فجاءها قائلاً

«والتي أنني أقد للفتة، المتحسنة، ولكنني أخذت فهمي. لأن لم أكرهك على

«الاطلاق بل على العكس لو كانت الظروف مختلفة لأحببتك كثيراً.»

«وحيث لم أكن لملحة بالجرأة التي كان يحصل بها وعندما أصبت بالغرابة

«تسري لي وجنتها تحولت بصرها بسرعة وبدا أنه لاحظ الاضطراب الذي

«الذي اعتراها وأرغمني فهد وهو يقول»

«لعل القدر شاء أن يرى كلانا الآخر كثيراً على أنصبي بالاعتراض ضدك.

«وأعترف لك أنني قروث عندما رأيته لأول مرة أنه انخلص منك بأسرع ما يمكن.

«وأكملت توني»

«هوبأقصى ما يمكن من الوثائق، هل لي أن أعرف لماذا»

«وأرتمت على وجهه تلك الابتسامة الضئيلة الساحرة من جديد وهو يقول»

«هل كنت رافعاً؟ إنه أهال بدر مني! يمكنك أن ترويه إلى المفاجأة فإن بينك وبين

«زوجي درجة كبيرة من التشبه ولم أكن أظن أن أراك قريباً مني، بل أن مجرد

«أنك تحملين اسم وارين يكفي ليحطني تراجع كانت ووجنتي أبشاً من أسرة

«وارين حبيبة بنيامين وارين.»

«وحيث أنني لم أكن أعرفها تسأل في تعني»

«كانت»

«وعلى قائلاً»

«نعم لقد قتلت في حادث سيارة في ميدج منذ أكثر من سنة»

«ولفت قائلاً»

«أوه! أنني أسفة.»

ولا داعي للأسف، فانت لا تعرفينها على الإطلاق وستكون الظروف في صالحه.
فسوف يرى بيك بنيامين هدية من السماء لأنه كان يحبها كثيراً.
وألقى بالكأس، وتبهر يقول:

ها هو قد وصل وسوف تستريحين مني... وأصلي القيام بتوركده
قال في سخرية واضحة وأحس رأسه من باب الرصيف والتعب ليعاثر قاعة
الطعام وتوقف في طريقه ليتحدث إلى بنيامين.

ظلت تومي ترتب الرجلين وهما يتحدثان وأحست انهما يشككان ثنائياً
لأرجل الأكبر سناً متناق كجنيته السابق برباط عنقه والموركل أصاً غرابي
لورس. لمثل الجبل اعلمر أو على الأقل احلى شرائحه الاجتماعيه في ربه
الأنبي وقصصه الأبهى المنوج وبشره المشط بهاية

ونظر الرجلان إليها وانقسم بنيامين ورفع يده للتحية رجاء الخادم وانصرف
غرابي. وبعد حوار قصير مع جيهوداسي منى بنيامين وتبدأ عبر قاعة
الاستقبال الى حيث جلست تومي وقال

«أرجو أن يكون غرابي قد قام بالواجب يا عزيزتي فقد استقرت المكثلة وقتاً
أطول مما كنت أتوقع وأحس أن التحرك عن ارتباطاتك، هل أنت مستعدة يا
جيهوداتي؟»

وجدت تومي نفسها في قاعة الطعام الصغيرة المجاورة لقاعة الاستقبال
حيث يمر كل شيء من الأتية والذهاب وبدأ لها ذلك تديراً لا مبرر له.

ويجلس بنيامين على الجانب الآخر من الطلوة ينسم وقال

«انه شيء يدعو للسرور أن يستضيف الإنسان شابة جميلة وخاصة عندما يتضح
أنه المعيدة الكبرى لشقيق طال الوقت على مفناه. لقد ظلت أصعب الطعام
لكلها يا أنطونيا وبالسبب إلى فيض أفضل الأطعمة الملوثة وأرجو أن يعجبك
لحم البط الصغير مع الشمام الذي يقدم أولاً بالأصناف إلى أحد أطباق كلرب
فيما بعده»

وقلت تومي تقول

مسيكون لقد بدأ.

وكل كذلك بالتعليل كانت ألد أكلة تناولتها وأحست بلحمة عطف أبوي في
صوته، ووجدت نفسها تتجلبب إليه.

وبدا الناس يحسون على قاعة الطعام ومعظمهم من يتم ملبهم وسلوكهم عن
الثرف واصطحب واحد أو اثنان منهم سيدات أليقات وحرص الكثيرون منهم
على تحية بنيامين كأنه من مشاهير رجال السياسة واستجعت تومي بذلك،
لقد بدا عنها التكبر شخصية مرموقة في غرب لندن. وكان بنيامين يركز
اهتمامه على تومي وقام بدور المضيف المتدبر فجعلها تحس بالارتياح الكامل،
وعندما جاء دور القهوة أصحت بالاسترخاء وبالحلو الكامل من الفاكه، وعندئذ قال
بنيامين

«والآن يا أنطونيا... حدثيني بالتفصيل عن أسرتك»

وحدثته بكل ما يقدر اهتمامه لمفالت:

«أعرف أن جدي - شقيقك - تزوج من سيدة هولندية بعد الحرب العالمية
الأولى، توليت بعدما ولدت أبي، وكان أبي يتحدث عن طريقة تربية أبيه
ليكون فتناً مثله وكيف كانا يتجولان معاً في أوروبا ليرى اللغات المعجبة
والنحت والمباني. لم يكن لها بيت خاص طوال حياتها، واعتقد أن أبي لم
يحصل على أي قدر من التعليم - أعتقد التعليم المدرسي وكان يزوج ويقول أنه
لا يستطيع أن يجمع اثنين واثنين. ولكنه كان يتحدث في الأدب والفلسفة
والموسيقى والفن، وأعتقد أنه تعلم ذلك خلال مصاحبة أبيه طوال الوقت،
وسمع أبي مراراً يقول، إن أباه لم يكن حريصاً على حال بن رجا كان يحضر
التفرد مما يبدو شيئاً غريباً في»

وعلى بنيامين وأبرس

«ولكنه ليس كذلك بالنسبة إلى... اكمل»

«ما لم أنسى لا أعرف أكثر من ذلك، كل ذلك قبل مولدي بزم طويل»
وسألت في صوت خفيض.

هل تعرفين كيف لقي جدك حتفه؟

«لا، ولكنني أعرف أن أبي كان معه وكفى يقوم على غريمه وأن ذلك حدث في روما وبعدما ذهب أبي إلى باريس ليعمل في رسم اللوحات وهناك قابل أبي وأزواجه، وللبيل الحرب مرضى أبي وكان عليه أن يعيش في منطقة ذات هواء متجدد فمرجما إلى لندن ليعيش في كوخ صغير في منطقة دينتون حيث ولدت، وأعتقد أن مولدي كان مفاجأة لها».

وهل ما زال أبوك هناك؟

وبدا عليها الحزن وقالت:

«لا، بالطبع مات أبي منذ أكثر من عامين بقليل وعند ذلك حضرت مع أبي إلى لندن. كانت تتشوق دائماً أن تعيش في لندن حيث فرصة العمل أكبر وهذا هو كل شيء... هل هذا ما أردت أن تعرفه؟»

وأخرج بنيامين صديلاً أبهى مطويًا من جيبه واحد يقوم بتلميع رباج المونوكل في تباطؤ واحد المتدبل إلى جيبه وقال:

«أشكرها يا أنطونيا. وإن استطيع بحال أن أجعلك تفهمين مدى ما تعبه هذه المقابلة لي كأني بها استعيد حوطاً من شهابي، كنت وأخي لا نفترق وأصبحت بصدمة قاسية عندما احتلف مع أبي ورفض أن يشارك في عمل الأسرة وتركها ليصبح فناناً ولم يكن بوسعي عند ذلك أن أفعل شيئاً لأصبح ذلك وكان أبي يتصرف في الأسرة كأنه حاكم مستبد».

وصمت لحظة قصيرة، ولحوت تومي أنه كان يعود بذكرياته إلى للامهي الوحيد وهي أنها تجلس أمامه وسرعان ما رفع رأسه يقول:

«اعلميني! والآن حدثيني عن نفسك».

«أنا لا أستحق هذا الاهتمام، عمري ٢٦ عاماً، ولدت في كسكربتية وأعيش مع أبي في شقة في حي هورنسي، عملت خلال العامين الأخيرين في وظائف مؤقتة في لندن... هذا كل شيء».

ولمعت عيناها، وقال:

«هذا وصف مختصر جداً، وماذا عن صداقاتك؟ إنك جميلة للغاية ولا يفتل إلا يكون لك صداقة من بين الشباب».

«هذا إطراد منك! ولكن ليس لي صديق بداته كان هناك أحدهم في ديلون شاباً معاً وكنا نذهب إلى مدرسة سوية، ولكن أبويه هاجروا إلى أستراليا ورحل معها، وهكذا انتهت علاقتنا. ومنذ أن حضرت إلى لندن لا يوجد شخص يعرفني».

«أبست عبرة لك من هذا بنيامين وقالت».

«أعتقد أنني أنتظر أمي الأحلام».

وكبر العريب في تلك اللحظة بالذات أنها رفعت يدها لتجد غراي لورنس يدها إليها وقد غلب عليه، وعندما وصل إلى لانتة نظروا إلى بنيامين ثم نظر إلى تومي وفي عينيه تعبير غريب عابث.

ونظر بنيامين إلى غراي قائلاً:

«هل جد جديد - يا غراي؟»

«ما يصل بولستون منذ لحظة للمرة الثانية يا سيدي ويبدو أنه قلق بخصوص هذا الإيجار ويقول أنه يريد قراراً نهائياً في موعد أقصاه اللد، وفكرت في إخطارك على الفور فربما تكلفني بعض مميزات أخرى».

وتهد بنيامين وقال:

«العمل، ألا استطيع أن أصطحب فتاة في أحد المطاعم بدون أن - ينطح عليّ العمل ذلك».

ونظرت تومي إلى ساعتها وقالت:

«أعتقد ينبغي أن أتصرف الآن وإلا تأخرت على عملي».

«حسناً يا عزيزتي! لأأسيبك لك غراي سيدة أجرة، هل أعدت لها السيارة يا غراي؟ سوف تلحق بك أنطونيا».

وبشيت تومي ونهض بنيامين كذلك وأمسك بيدها وهو يقول:

«إنك لا تعرفين يا طفلي العزيزة كم كانت هذه المفاجأة سارة لي، وأنتي أظنك إلى

الاحتفاء بك في منزلي قريباً بعيداً عن جو العمل هذا.

وتراجعت الى الخلف قليلاً إذ لم تكن قد تهيأت لذلك. كانت تعتقد انها بعد أن أخبرت بنيامين بكل ما تعرفه عن أبيه الذي توفي منذ زمن طويل لن يكون بحاجة الى الاهتمام بها بعد ذلك. ولم تكن هي بدورها راغبة في أن توثق صلتها بالسيد وارين الى أبعد من ذلك. لم يكن عالم القراء عاكفاً ولم تكن حريصة على أن تتقسي اليه، وقالت:

«لانه بفضل كبير منك أن توجه إلي الدعوة وأشعر بشيء من التكرار إذ أخبرك أنني مضطرة للرفض، ولكنك قد نظرت أبناء أبي وأنا، نعيش حياة هادئة للغاية، ثم نعد كل هذا النمط من الحياة. لقد استمتعت بمدينتك للغاية وبمدينتك لي إلى الطعام وبكل شيء.»

واستمع استماعة لطيفة تمل على الفهم، وقال:
«ولكنك بهذا تكونين متفهملاً التي تعترضها»
وأرابت وقالت:

«أرجو ألا تنصايق... كنت كريهاً ورقيقاً معي ووضعت يداً على فرائعها وقالت:
«أشكرك يا مستر وارين وأرجو أن...»

وتذكرت فجأة امرأة التي قتلت، وهي الحفيدة التي قال غراي لورنس أن بنيامين كان يحبها، وواصلت تقول:
«أرجو أن تسعد في حياتك.»

وأصغت بانفعال جعلها تمنحني وتقبل وجهه. وهمت:
«مرحاً.»

وغادرت قاعة الطعام.

كان غراي لورنس يقف خارج المصبل والى جواره سيارة تكسي تنتظر وهركها يذوق وفتح لها باب السيارة، وقال:

«الى اللقاء يا أمي، وارين، ليس لدي شك في أننا سوف نتقابل قريباً.»
ورفعت رأسها في ثقة تقول

«يرتج يا لك! رفضت بحرم دعوة عسي الزليمة لزيارتك وسيكون هذا لحسن الحظ
لقلنا الوحيد»

وصعدت الى التاكسي، وقالت:

«مرحاً يا سيد لورنس.»

واستدار السائق يمشى

قال أبي يا أمي»

وأعطته عنوان أحد مكاتب التمدن في المدينة رضى التاكسي طريقه بسوق أن تنظر الى الوراء. وأصغت بشيء من الأسف لأنها لن ترى عمها الكبير بنيامين مرة أخرى ولن كانت قد أصغت بلزتيح كبير لايتعادها عن لورنس البهيمى تولفت لورنس وهي في طريقها الى البيت لتشتري بعض الأزهار هدية لأمي. لقد ضاعت فرصة الفصل ولم يجد حالاً أمل من وراء المفاجئة وخشيت أن تصاب أمها بشيء من الاحتياط لذلك النهاية لأحلامها

وما كانت تلحج باب الثقة حتى أصغت بأن هناك بعض اشعير كان وعاء الزهور يزهر بأعداد كبيرة من الفرجل الأحمر تحيط به «وراقى المرحس» وعين جو الفرفة يرانحة الفرجل وقد لمحتتها بنافيا من دحان السكاكر، ولحمت على الطاولة الصغيرة المجاورة للسفلى بقايا شيء قدم للشخصيات.

وجانب السيدة وارين من المطبخ ولد احمر وجنتها والمجوب اليها لورنس تعانفها. وتقدم اليها زهور شقائق النعمان التي أحضرتها وهي تقول:
«أحضرت لك هذه يا ماما ولكن يخبر أنه لا حاجة بك اليها.»
وأجابت أمها:

«أشكرك يا عزيزتي، انها جميلة للغاية... سأذهب وأضعها في ماء.»

وسارت توتى في الرها الى المطبخ تقول:

«من كان عندك من التصريف يا ماما! أعظم أني يمكن أن أحزرها»

واستمعت السيدة وارين في سعادة قليلة:

«نعم تستطيعين أن تمنحني يا عزيزتي. كان هذا السيد بنيامين وارين بنفسه»

وجاء في سيرة ليونين. وحسن الخط كت قد فرغت للتو من حبر الكمكيات التي تفضلها، وقد أحيا بنينين. وطلب مني أن أناديه باسمه بلا ألقاب. رحلت للزهرة إلى غرفة الجلوس ووضعتها على رف القرد ووقفت تنظر إليها في إعجاب.

وغاصت توبي في أحد الكراسي وقد بدا أن أحداث ذلك اليوم كانت فوق طاقتها، وقالت في وهن.

«لم يقل لي أنه سيحيي ليهارت»

ولا، اعتقد أن الزيارة سترب له عجة. وأخبرني عن اصطحابه لك إلى المطعم أنه معجب بك جداً يا توبي. وظل يردد في إعجابه بك وكيف أنه ضرور لأنك قدمت نفسك إليه.

وقالت توبي في بظ.

«لم أفعل ذلك بالضبط يا صابا - أنا أنت التي فعلت ذلك. وكنت أتمنى لو لم تكتبني تلك الرسالة وتسليمي إليه بدور أن تخبريني إذ وضعني في موقف محرج تماماً»

وتجاملت السيدة وارين ذلك التأنيب فقد كانت في أوج سعدتها وقالت: «لأنه ليس كما تصورته على الإطلاق... كنت أظنه رجلاً غامباً متحجراً القلب كرجال الأعيال ولكنه هو ذلك بقلرة - مهذب وساهر بل بالفعل مثل الأصالة وكرم الأصل»

وتهدت في سعادة وواصلت تقول.

«محدثنا في أشياء كثيرة - وكنا شعوراً بأن يعرف الكثير عن عمل أبيك، وطلب أن يعرف كل شيء عن حياتنا في الكوخ، وعندما أخبرته أن القسم قبل عن طيب خاطر أن يجرى النوبات تحت سطح المنزل قال أنه سيلعب إلى ديقون في يوم من الأيام ليراه، أليس ذلك شيئاً لطيفاً»

ولمست توبي.

«الطلب للفاية»

وواصلت الأم تقول.

«وأخبرني بكل شيء عن أرميه وهو يعيش وحده الآن - أليس غريب أنك تشبهين جداً جيمس» بالترتيبها من كانت في سى الطعنة المبكرة عندما مات أبواها فقد راحا ضحية كتلة جلدية وهي مارس رابعه الرحلى في انسا ولأملك قنيت هذه الحديقة في حادث اصطدام سيرة ضد غام وعاصم. يد لها من مأساة هل تصدق يا توبي أنه يشعر أنك معه أرسلها به القدر لنحى محلها»

والخجرت توبي تقول.

«لسمعي يا أمي! احس بأند فرحة للعدة ولا أحب أن تشعرى بالاحباط ولكننى أقول أن الموضوع لن يسير هكذا. أحبب السيد وارين فهو شخص وثيق للغاية ولكننى لا أريد أن نلتف حول عصا سحرية لأنقول أن صورته أخرى. لا أريد أن أغرب شيئاً ما في حياتي. انسى سعيدة هنا معك ولقد وفرت لنا شيئاً يحوطه الله وسوف يزداد دخل عيا قريب ويكون لنا بيت صغير لنملكه في النهاية. ولعلك تذكرين كيف كان أبي يسأل الأشياء انسى يحصل عليها الاسر بالجهد هي الأشياء التي ينبغي أن يحرص على التنازلها - ولذلك لم يقل شيئاً بأن يلجأ إلى بينيون وارين ليطالب منه المساعدة عندما طلبت إليه. بل أراد أن يعتمد على نفسه وألا يستند إلى دعم أحد أكثره الأثره. وهذا هو شعوري أنا تجاه هذا الموضوع»

وتبع ذلك صمت طويل كانت السيدة وارين لمصدق خلاله في توبي وهي لا تكاد تصدق. وقد تدلت شفتها الرقيقة وقالت.

«ولكن لا يخطر أن تجعل غاماً ما حدث»

ونظرت توبي إلى وجه أمها الذي اعتلته الدهشة وأدركت أن أمها كانت كطفل يهني لصوراً في الهواء وأنها تعاني تماماً كما يعاني الطفل عندما تنهار منك الامال. وأوصأت في كلمة فائقة.

«أعنى أن هذا هو الذي سوف يحدث وهذا هو ما كن أبي يمتنى أن يراى الزم به لو كان الأمر قاصراً على التحالفى يعمل في الشركة لقبته كما وعدتك ولكن

هذا التفكير الجديد شيء لا يحتمل النقاش فقد حفر الرجل الذي أجرى في المقابلة من شأني تماماً...

وانفعلت في شيء من الغضب عندما تذكرت كيف تمت المقابلة والطريقة المتعسرة التي رفض بها طلبها وأدركت أن وجه الله بينها وبين وجهه وبها كان وراء طريقته القسوة التي تصرف بها، ولكن ذلك لم يكن عذراً كافياً لما حدث، وواصلت تقول:

هكذا يا ماما إذا كان باستطاعتي أن أكسب معاشي من العمل في الشركة كما كنت أسمع بتأن بأن أعامل بشيء من التدليل لأن ذلك ما يحدث الآن أرجو أن تفهمي.

وأولت السيدة وارين في بطنها وقالت:

«لاني أشعر غامضاً بما تشعرين به يا توني والواقع أنني لم أعش مع أبيك طوال تلك السنوات بدون أن أعلم ما يعنيه الاستقلال»

واستدارت لتكلم الأطباء فوق بعضها وأخذت تزيل يديها الطعصام بيد متهمة من المعصية، وقالت:

«لقد أجزأه تعلمي يا حبيبتي أن السيد وارين دعانا لتفشاء عيد الميلاد معه في بيته بقاطعة غلوشستر وقد قبلت الدعوة، فلماذا تقول له؟»

٣ - الظلام الدافئ

وحلال الأسبوع التالية قبل عيد الميلاد ظلت توني تفتح نفسها بأن تلبس حمرة بنيامين لتظل اثراقة السعادة باديها على وجه أمها، وانفطحت السيدة وارين خطوات عسلة استعداداً للزيارة.

«لأنني بحاجة لبعض الملابس الجديدة يا حبيبتي توني، قررت أن تقضي يوم السبت في المدينة لتشعري ما مر به بالأممود التي وفرناها لك، الأجازة في إسكتلندا»

واغترفت توني بعجدة أن لديها ملابس مناسبة، ولم يكن من السهل أن تعود السيدة وارين عن رأيها. وأضمت يوماً في السوق ورجعتا محملتين بصناديق ولعائف وبهتات كانت توني تعد الشاي فالت أمها بئس الملابس الجديدة على المرير وعلى وجهها شاعر التهجئة والرضى.

ودخلت توني لترقب في النهار، وقالت:

«إنها ملابس رائعة ولكن ماذا افعل بها بعد عيد الميلاد لن أستطيع أن ألبس رداء كهذا لأذهب به إلى السيت أوجني إلى المطعم ثم ضحكنا وقالت:

«وماذا عن رحلتنا إلى إسكتلندا؟»

وابتمت السيدة وارين ابتسامة غامضة وقالت:

«لا تشغلي بالك يا عيشي يومك فتجن لا تعرف ما يأتي به العام المقبل»

«اسمعي يا ماما إذا كنت تتخمين أنني سأسبح لنفسي»

ولكن الأم وضعت يدها على شعنها وهي تقول:

فاه يا حبيبتي دعينا نتقبل الأمور كما تحدث. ذلك أفضل.

ولم يمكن بوسع توبي أن تعمل شيئاً بعد ذلك كان هناك مرضى مختبريين الموظفين في المكتب، نطلب منها أن تعمل في الصباح وفي المساء ساعات إضافية وكان الطقس مريعاً وانخفضت درجة الحرارة خلال أيام وعطفت الأمطار بدون توقف حتى ليلة عيد الميلاد. وكذبت بذلك جميع التيزات الجوية وسادت الحالة النفسية بسبب الظلام والمطر الذي استمر لأيام واكتظت الحافلات والتقطرات بطوفان البشر الذي لا ينقطع.

وعملت توبي طوال ليلة عيد الميلاد حتى لا تنفسي أوراقاً لاحتاج إلى النسخ. وغادرت المكتب في وقت متأخر تأمل أن تضوي رحاها وقت الدروة. ولكن الزحام كان كما هو وكانت الرحلة أكثر مثلاً. ووصلت إلى التفتة في النهاية وهي تأمل أن تقضي هي وأميها أجازة دافئة تقتصر عليها. ولم تكن مرتاحة لفكرة السفر إلى مكان مجهول في بيت غريب. وحظر لها أن تعتد في آخر لحظة بمرضى الأنفلونزا وكانت ترتعد من البرد وهي تفتح الباب الخارجي للتفتة.

وأظنت السيدة بلات، مالكة البيت، من غرفتها في الدور الأرضي تقول: «خرجت أمك، وتركت لك هذه الورقة».

وفردت توبي الورقة بأصابع مبتلة، وفرأت:

حبيبتي تشيرت الخطبة واضطربت إلى أن أسفك. كل شيء على ما يرام. وسأشرح لك عندما تلطين بي القيد سياسي الترتيبات وسيعر عليك سابقه الخاص ليحضره حوى السخنة والنصف. كتب لك هذا على عمل - أمك.

ملحوظة: لا تسي أن تطعني التفتة الصغرى لموقد البرنغاغاز

كانت السيدة بلات تنظر في طعة، وقالت:

«سوف نذهب في الغطر الأمان»

وبدأها كانت تعرف كل شيء عن ريدة توبي وأميها لأقاربها الأثرياء في فلورنسا.

وانجهت توبي إلى الدرج قائدة.

أمره لا لأعقد.

دخل سيمون سيارة اليد.

مهم أسكرت عن إعطائي الرسالة يا سيدة بلات، وصعدت الدرج وأعقدت الباب خلفها وأسندت ظهرها إليها.

كانت التفتة رطبة وباردة. وانضمت مولد الغاز وألححت الستائر ووضعت وعاء أسفل الخطبة التي تنطج بالماء ومغضب سبوتها وشربتها على أحد الكرسي لتجذب. كانت الساعة تشير إلى السادسة وخمسة دقائق، وأدركت أن عليها أن تسرع بالاستعداد إذا ما كانت تعتزم الخروج مع ذلك السائق، وفكرت في مخاطر الرحلة الخطيرة بالسيارة وحدها مع سائق لا يعرفه. ودخلت إلى غرفة النوم لتغير ثيابها.

وحظر لها - هل تجد ماء ساخن للحمام. وحلعت ملابس العمل وأرتدت رداء طبيعياً وسارت حافية عبر الغرفة إلى الحمام المشترك ووجدت المياه ساخنة أتاحت لها حماماً دافئاً.

وما أن خرجت من الحمام حتى سمعت جرس الباب الخارجي يبدل من أسفل، وأظنت من النافذة غرأت سيارة طويلة أهلة تطف إلى جانب الحاجز الحجري عند حافة الطريق وانحبت على الدرابزين لتسمع صوت السيدة بلات وصوت رجل يجدها وصاحت تسأل:

هل هذا لي يا سيدة بلات؟ أوجرك أن تجعله ينظروا ساكون جالسة خلال دقائق.

وسمعت صوت خطوات تصعد الدرج المغطى بالشمع وتنب كل زوجين في خطوة فاستدارت تعدو إلى غرفتها. وانفجرت دثارها السرييق بينا كان طراي لورس يحدو مع الدرج ليواجهها. ونسمرت خطايا وحلقت لمجابهة والحرارة لسطحها في وجهها وأحككت الرداء حولها وأسهرت إلى غرفة النوم وأغلقت الباب خلفها.

وعندما خرجت تليس كان لا يزال يقف في كبريه بقلعته الفارعة عند الموقد يلهو يديه والتفت إليها وقال:

«هكذا يكون اللقاء يا أنطونيا»

كان قلبها ما زال يهتز من صدمة اللقاء المفاجيء. وقالت:

«ما كان ينبغي للسيدة بلات أن تسبح لك بالصعود، إنها لا تفعل ذلك عادة ولقد ظننت...»

«لا تعسري بسبب ثيابك، فلقد اضيق عابرين كاملين في لندن. وهما يكتفیان لتعديل مشاعر الرجل جدد»

وقالت في اقتضاب:

«لا أعرف ماذا تعني؟»

كان يوماً مرهقاً للغاية حمل معه الكثير من الاحباط وأصحت بأنها عاجزة عن أن تدخل في تراثك لفظي مع ذلك الرجل الذي يشتر الغضب وواصلت تقول:

«هل حضرت حقاً لتأخذني بالسيارة الى غلوستر»

«نعم. ولقد حرصت على ذلك بعد واعدك السحق الأخير»

«هكتك أن تتظاهر بأنك صرور لرؤيتي من جديد»

ولوى فمه، وقال:

«أنا لا أنظر ابدأ ولكنني أضع لما لا يمكن لمجهه ومن ذلك دعوة بناسين لك لزيارته»

واستد بصره الى الشقة وإلى السجدة الصغيرة البالية والستائر الرخيصة الزاهية الألوان وإلى المظلة التي يقطر مائها في الرعد وواصل يقول:

«ليس من التهذيب أن ترفض دعوة في مثل هذه الظروف»

واختر وجهها، وهي تقول:

«أراهم الصول هانتى؟»

وارتفع حاجباه، وقال:

«أعنيك؟ لماذا؟ انني فقط أحاول أن أكون واقعياً. تعلمت أن أقدر الحقيقة وأن أقولها وإن كنت لا أقولها كلها فليس هناك انسان يعمل ذلك وعلى الأقل فانتى أعتقد بما في نفسي»

وبدا الحديث مع ذلك الرجل شيئاً مستحيلاً. وجذبت سترتها من على ظهر الكرسي حيث كانت تجف أمام المظلة ولكنه أمسك بها وهو يقول:

«اسمعي لي»

وترددت لحظة ثم دفعت بذراعها فيها، وحمل اليها أن يده استقرت فوق ذراعها أطول مما ينبغي، واصل:

«هل حقاك جارية لأجلها الى الطابق الأرضي؟»

«نعم أقصد لا...» قال أمامي بعض الوقت، هل يضايقك أن تنتظر دقائق أخرى؟»

«كما تريد، لقد أعطيتك ذلك الفرصة لتتقاضي زجاجة المروء...»

ودخلت غرفة النوم وظهرت فستان المسهرة، وجمعت أدوات الزينة في حقيبة يدها وكان غراي لورنس قد تبعها ووقف يستند في دعامة الباب يرقبها. وكهولت عينه عبر الفلرة الصغيرة يستنارها المزركشة وفرض السرير والسجدة المدمجة على الأرض، وعلق قاتلاً:

«باللثة ومن ينام على السرير القذيل»

«أمي»

«أأم... كنت قد نسيت! إنها في غلوستر الآن»

ولستمر في التأمل كأنها خطرت له فكرة... وطال الصمت وأخذت تبحث في حية في احد الأتراج. وهل وألفاً عند الدخول وربع رأسه يحنق في السقف، وقال:

«سوف يحتاج المروء الى بعض الوقت حتى تخف حلتهم»

وتخطت الى نوابها، فاستدارت تقول:

«لماذا لا داعي للانتظار»

وعلق قاتلاً:

«لست ساذجة وفهم كل شيء»

وقالت في غضب:

«لكن كنت لحدول أن تستكشف أي مروج من الفتيات أنا»

ومر عبر الغرفة تجلسها يتعسم ثانياً:

«لم أكن أعني بكلامي أن أغريكم»

وأغلقت حليمة ملايها في عصبية بأصبع مرتعشة وهي تقول:

«وانك اسأل بغضب بلا اخلاق... لا أريد أن أركب معك الى غلوتستر. تفعل

وانصرف! سأجد طريقاً بطني»

ولكنه لم يتحرك، وقال

«المكان على بعد أربعة أميال من أقرب محطة للسكك الحديدية هذا إذا وجدت

مكاناً في القطار، والمترو جميل ولكنه في مكان متروك...»

واسمعه كأنه يحدث نفسه:

«إنه طريق طويل الحافلة به أشجار اللبون تنضج أغصانها بطرات المطر ليعمل

الطريق الى سلسلة من البرك الصغيرة وهناك سيارة تاكسي وحيدة ولكنها العجز

في ليلة عيد الميلاد.»

واستدار الى الباب وقالاً

«سأخبر أمك أنك ستلحقين بنا فيها بعد، ولديك العنوان بالطبع.»

لم يكن معها عنوان وحاولت أن تتذكر اسم المنزل الذي تنجبه إليه. وتذكرت

أنه يعمل في مقطع منه للغة الأبيض الفلور الأبيض الدهر الأبيض

ولم تستطع أن تتذكر الاسم بالضبط. بل لم تستطع حتى أن تتذكر اسم

القرية.

وأحسنت بركبتها لرجلان فجأة وجلست على حافة الدرائس وقد حنت رأسها

لتعشى. لتعرج التي أسابت من عينيها، وحاولت أن تقدم واستطاعت للحظة

أن ترفع رأسها بها وقف غراي لورنس ينظر اليها بامعان وقال

«هلو عليك الانه... حتى أكلت لآخر مرة»

«لا أستطيع أن أتذكر»

ثم أضافت:

«أني بعير.»

وحاولت أن تهض ولكن خائتها رجلاها، وقال في حزم:

«أنت لست بعير لا أريد أن يغض عليك أثناء الرحلة.»

«لا بد أن تأكلي شيئاً.»

«لم أذهب بعد.»

«سوف تنعوجي ارتاحي هنا حتى أجد شيئاً تأكلينه من خزنة الطعام.»

ولم يفتح وقتاً قرفعها من حافة السرير ووضعها في وسطه وغطى ساقيها

بمخافه وتوقف عند الباب ينظر حوله ويقول:

«لا تفكري! اني لا أستغل فرصة غيب امرأته»

ومرج الى لسطوح الصغير بيتاً اضطجعت هي وأغلقت عينيها، وتذكرت أنه

قال انه يلزم بالصق وولفت به رغم أنها كانت تكرهه، وكان الانهالك قد بلغ

متها مبلغاً جعلها تعجز عن تحليل مشاعرها.

وبعثت له وجهه يمره في لحظات قليلة معه ليجان من القهقهة الساخنة

وكومة من شظائر الجبن، وقال

«لا أسمعك لئلا، فقد كان شيء معيلاً من قبل.»

جلت تخضم إحدى شظائر الجبن وقد أهبطت اليها صدفة ذات نكهة حمرة

أعدها السيدة ولارين»

وأكلت ثلاثة من الشظائر وشربت ليجان القهقهة، وأرخت رأسها الى الخلف،

وتهدت تقول

«أني أحسن حالا الان: كنت جائعة خطأ، ألا تأخذ شطيرة؟»

ومضت طبق الشظائر اليها.

وهز رأسه قائلاً

«لا، شكراً، أكلت على الطائرة»

«الطائرة؟»

نعم حضرت للتو من رحلة الى باريس بعد أسبوعين أنجرت فيها بعض مسائل

المسل لفرعنا حالي»

وأزاحت توبي اللعاف، وتبعت من السري، وكانت لا تزال تليس بذاتها
المصبوحة من الحديد، ونظرت إلى حالة ملاييسها، وحاولت أن تسوجها في قفص
وتقدم غراي خطوتين عبر البرفة، وقال في حزم،

«لا تلعب ذلك؛ انك تهدين وثيقة الشبه به مبدج.. كانت تفعل هي أهدأ
ذلك.. هل نخرج الآن؟»

وجعل حلقها وهو يقول

«هل من شيء نصنع قبل أن نخرج؟»

وأجابته،

«لنسي جافزة.»

ولاحظ أنه كان يدهي تلك الكراهية لهابها لأنها كانت تذكره بمبدج وبكل
شيء لديه. وجدت غرفة الجندوس، وأطفأت نار المدفأة والمصباح وظهرت لتطمن
إلى أن كل شيء في موضعه وتبعته تهبط الدرج.

كانت السيارة طويلة وفاخرة، وفتح لها الباب ووضع طائنها في الخلف ثم
جلس إلى حجلة القيادة وحاول توبي أن تثبت حزام الأمان حول وسطها
فأخفقت، وقال لها،

«أتركيني أثبتته حولك.»

ومال لهاها ليثبت الحزام وأجست باللمع وأسرع بيدها، ولكن لم تثبتكأ يدها
هذه المرة، وقال

«مضطرباً حسناً سوف أرجع إلى المدينة لا علي رهارة المصنع أولاً وبعدنا نأخذ
الطريق العمومي.»

لم تكن توبي قد ركبت من قبل سيارة شبيهة بتلك السيارة التي أخذت
تنساب في شوارع ضواحي لندن، وفكرت أنها كان يمكن أن تستمتع بتلك
الرحلة لو كان الوقت مطلقاً وفي صحبة أخرى.

وردهم بصرف ليلهم، كان يبدو متطرباً ساخراً بيعت الرحلة فيمن يظهر
اليوم له جاذبية رجل قوي، وفجئت كم من التسلل التمريرات جبهتهن تلك

اللقنططية. ولم تكن قصصه على ذلك فقد كان حلمها بالحب شيئاً يختلف
لها. كانت تعلم بللاج أو مزفرع فواكه له شعر أشقر وعينان زرقاوان ولم
يتسم هاتياً... شخص مثل أندريان الذي رحل إلى إسرائيل مع أسرته. كان
التساب الوحيد في حياتها لسنوات طويلة وعندما رحل أهدت شيء من انكسار
القلب وإن كانت القلوب لا تنكسر في سن السابعة عشرة. ولم يكن هناك منذ
ذلك الوقت شخص لمس قلبها. كان أندريان يرمي الغنم وكتب لها مرة أو اثنتين
وأرسل لها صورة فوتوغرافية له وهو يسلك بحصان أسود رشيق. كان يبدو في
الصورة شاباً كادحاً وكانت تلمح باليوم الذي يحدث لها فيه كمن تلحق به وتتزوجها
ولكن أباهما مرضي وأمه تكدر طوال النهار في أحواض المكسر بالمدينة وال
منتصف الليل على ماكينة الغياطة والتطريز لتكسب غريهم. وحتى لو أرسل
لها أندريان لها كانت تستطيع الذهاب.

وانقطعت الرسائل بعد فترة. وتبدت أمها في سنة الماضية رسالة من والدته
أندريان تخبرها فيها برواجه، وحزنت توبي وأجست بالصياح نسبت الموضع
ولكن صورة أندريان بقيت بشكل غريب أمير الأحلام
والذي غراي لورنس عليها نظرة سريعة فالأ

حالت بخيرا لن يمس عليك من جديد»

واستجمعت لواحد وقالت:

«يغير لهم أذكرك.»

وبدأت السيارة تشق طريقها في الشوارع الضيقة خلف طريق الكنيسة
البهضاء ثم توقفت أمام باب خشبي قديم لا يحمل أية علامة مميزة، وقال غراي،
«ينبغي أن تأتي معي.. لا أستطيع أن أتركك وحده.»
وقالت في سذاجة:

«هلا؟»

وأجاب:

«يمكن أن تحدث أحداث غريبة للسيارة في مثل هذا المكان.»

ممكن اذا كان هناك شخص ما بالسيارة فلن شيئاً لن يحدث..

ونظر اليها نظرة عابسة، وقال:

«اذا كان من ينتظر بالسيارة مثلك فمن المؤكد أن يقع ما احشاه..»

وهزت كتفها، وأطاعت، وأحكم إغلاق السيارة وسار امامها وصعد درجاً قديماً الى غرفة كبيره بالية وتبعته تومي وهي تنظر حوله في اهتمام.. اذاً هذا هو المصنع الخاص بشركة ولريز للكان الذي صنعت فيه التيليفيس اللامعة والمواالم التي وأنها في بوند ستريت، ولي قبل المصباح الوحيد رأيت الأرض الخشبية العارية وصفاً من الكاشي على ثلاثة جوانب من الغرفة كل منها ينعزل عن الآخر بواسطة حواجز، أما على الجانب الرابع من الحجرة فكان هناك معونات أنفل، ضخمة، وفاصلة تفج في الظلال، ولحيت الفل جلس الشخص الوحيد الذي يشغل الغرفة ونهض فور دخولها. كان متوسط العمر يميل الى السنه له شعر خفيف يلبس مزيهه بهيماء صبيكة.

وجو غراي الغرفة قهقهه للتأ

«أهلاً يا جو.. امل ألا أكون حرمته من المشاركة في تزيين شجرة عيد الميلاد لأطفالك»

«أهلاً سيد غراي... إسي أترك هذا اليوم لزوجتي، وكذا لا بد أن أنتهي كل شيء»

تصلي بي السيد بنيامين وأخبرني أنك أت لتأخذ معك بعض الإنتاج»

ومقع درجاً وتناول غراي طرفاً صغيراً وضعه بمنافه في جيبه الداخلي وسأل جو قائلاً:

«ألم يلق السيد بنيامين شيئاً عن سبب رغبته في هذه القطعة الثمينة في البيت؟»

لم يذكر يا سيد غراي..»

ونظر جو عبر كتفي غراي الى حيث كانت تومي تنقف وقال،

«ستسبحك حلاً يا انسة، فالواقع أنني لم أركه

ونظر غراي حوله وقال:

وسيت أن ألتصمك.. أنطوبيا هذا هو جولانير الذي يعرف كل شيء عن أسرار صناعة المجوهرات والذي له الفضل في أن تقف شركة ولريز على قدميها. وهذه هي الأنسة ولريز يا جو حفيد أخ السيد بنيامين وهي لضي عيد الميلاد معناه

ومدت تومي يدها لتصافح جو الذي كان يحدو حوله من الطراز الأول

وأخذ جولانير يدها وهو لا يصدق عبيده والتفت الى غراي قائلاً:

«لا أكاد أصدق يا سيد غراي أنها تبدو كما لو كانت..»

«كما لو كانت ووجتي عادت الى الحياة نعم يا جو أعرف ذلك»

ولريزك جو قائلاً:

«أسف يا سيد غراي لم يكن لباله شيء أن أقول ذلك. ولكنني أخذت

بالمقايضة.. أسفه

«لا تشغل بالك يا جو شعرت جميعاً بالاحساس نفسه ولكننا بدأنا نعتاد عليه..»

أليس كذلك يا أنطوبيا»

كانت نظره اليها خبيثة الى حد ما ولم تحب والمجهت الى منظمة العمل أسفل

المصباح الوحيد حيث جلس جو تدفق الطير في الطاولات الصغيرة وفي

الأدوات التي تعلق من لزوف القبة على الحواجز. مطارق ومبارد ومناشر

ومطارق خشبية وأشبه أخرى. كان كل شيء بهجم صغير وقالت:

«دع شيء يهر البصر وهل كل الانباء الجسيمة التي رأيتها في بوند ستريت

صنعت هنا»

وأجاب جو:

«كلها صنعت هنا يا أنسة.. صنعتها بأنفسنا ما عدا السماعات فهي تأتي من

سويسرا... هل تريدون القاء نظرة على هذه يا انسة ولارين؟ لقد وصلنا اليوم

لفظه

ولكن غراي تقدم الى عترة المؤر حول المنضدة، وقال:

«أسف يا جو لنزول ذلك الى ريلة ثانية لمامنا رحلة طويلة»

وأصرح جو يقول:

«طبعاً يا سيد غراي، لم أنتبه لذلك وربما أحضرت الاتساع وأربعين مرة أخرى، هذا إذا كنت لمحين أن تري ما نصنعه هنا يا أنتسه
والواقع أنني أحب ذلك بالفعل».

وغلادرا لندن سالكون الطريق العمومي للسيارات، ولدركز غراي اهتمامه على القيادة، وكان المرور في ليلة عيد الميلاد مزدحماً ولطيفاً بنهم.

وجلس توني على مقعدها في السيارة في استرخاء كامل، ربما كانت توه أن يسأل عن طول الرحلة وعن الزمن الذي قد تستغرقه ولكن الرجل لم يكن يظهر أى رغبة في الكلام، وركزت بصرها على الطريق وكانت أصوات السيارات المقبلة من الأمام المضاهاة لخطى البصر لحظة ثم انفتحت واستسلمت النوم، وعندما فطحت عينها وجدت أنها كانوا قد تركا طريق السيارات، وأخذوا يقودان في بطن أكثر على طول طريق ضيق يهبط ويصعد ويدور ويخترق، وجلست بهيكل النظر...

وجد صوت غراي عبر الظلام الذي يلفها يقول:

«هل أنت جيداً»

وقالت في تشاكل،

«نعم، أشكرك»

وسأله قائلاً:

«ما الذي كنت تفعله في الأيام الأخيرة مما أصعب صحتك إلى هذا الحد؟ هل

كنت تأخذين طوال الليل؟»

وأجابته في حيرة:

«تلميحاتك غير موثقة يا سيد نورس إذا كنت حقاً تريد أن تعرف كنت مرهقة

طوال الأسبوعين الماضيين بعد أن تليق نصف اللطيفين بسبب الانطوائين».

ورفت السيارة فجأة بصوت يدل على أنها غاصت في الماء واصطدمت توني

بحزام الأمان من أثر الوقوف المفاجيء، وسعت غراي يدهم قائلاً:

«يا لكثرة! كان ينبغي أن أصل حساباً ظلال».

وانتصت في جثتها وأخذت لتدلى إلى الأسفل، كل الجسود شديد القناعة وأدركت أن الأصوات الأمامية للسيارة أطفئت ونظرت خلال النوافذ الجانبية، وراحت السيارة محاطة بذلك من كل جانب وإلى جانبها كان غراي يتحرك في عصبية قاتلاً

هذا الشارع المعبى سيق أن اغرقته أمياه من قبل، كيف لم أنتبه لذلك؟

وقررت أن تتأثر لنفسها فقالت

«كنت مشغولاً بمضايقي ولم تنبه للقيادة»

وسمعه يتشقق نكساً عميقاً ويقول في حيرة

«يا ليلي إن طريقك في الحديث تشبه طريقها دائماً، أخشى أن أفسد في يوم من الأيام أنني لست وريده»

وأصبت بأنه من الخطورة أن تدخل في سيارة ليلية مع رجل مثل غراي

نورس وحاولت أن تبعد عنه في الظلام بالنصي ما تستطيع وأصبت بحزام

الأمان بضغط عليها، وقال لها في صوت جاف:

«لا تلمني فللكل والزمان ليسا ملائحين»

واسترحت بعض الشيء وسمعه يهله في الظلام قائلاً

«هناك لا تثقين بي؟ هل تثقون بي فعلاً؟»

وأجابته على عجل

«وهل أنت جدير بالثقة؟»

وقال في اندهاش:

«من المحتمل أنني لست كذلك»

وأفركت أنه يتحسس جبهه وقال لها

«سيكارة»

«لا، شكراً، لا أدخن»

وأحاطت بها سحابة من الدخان حاول أن يربحها بيده قائلاً: «أسف، إنها عادة

صيفة، ولكنني أحتاج إليها في بعض الأحيان»

وصار يدخن لدقيقة أو دقيقتين، ثم قال في حدة:

«والآن إلى العمل. لنستطيع ما قد يصير إليه حالنا؟ إنظري في درج القفلزات
اعتقد هناك مصباح بطارية هناك»

ووجدته وناولته إياه، وأحدثت ننتظر بينما أخذ ينظر إلى التابلوه وأثار للفاتح
الضوئية فوق استجابه.

وفتح الباب الجدار له وأطل إلى الخارج. كان هناك صوت متدفق أسفل
السيرة وأغلق الباب بعنف وقال

«الأميل ضعيف تسرب الماء إلى المحرك واعتقد أن الدائرة الكهربائية تعطلت تماماً
هراين نحن الآن؟ ما طول المسافة بيننا وبين منزل العم بنيامين؟»

«حوالي مئتين، ونحن الآن في شارع يتد صعداً إلى الطريق البيضاء وال عدد من
الأكواخ الخشبية ومن غير المحصل أن نرى أية سيارة بهذا الطريق في ليلة مثل
هذه لأن الناس على الأغلب يهربون أو النهر يلهيهم ويهتدون في سربهم»

ولكن - ألا يخطر للعم بنيامين أن سيارتنا قد تمسح؟»

«من المحصل أن يخطر له ذلك أمر الأمر. وسوف تصل جامعة الاختلاف طاق بنا
الوقت أم قصر ولكن قد يتأخر ذلك. قطعنا المسافة من لندن إلى هنا في وقت
قصير ولا اعتقد أنه خطر لم أن يذكروا فيها بعد، ولذا لم نستطع أن نخرج

أنفسنا بأنفسنا فيسكرون علينا أن نجلس وبرعش في ليلة عيد الميلاد»

«أليس بإمكانك أن تخرج وتسير ما بقي من الطريق؟»

«سيرا؟ وهل أنت مستعدة لتسير مسافة ميايل في ليلة مثل هذه؟ اعتقد أن أفضل
شيء هو أن أتركك هنا وأسير أنا إلى المنزل ثم أحضر معي سيارة من هناك لاحقاً
وسأعود في أقل من ساعة»

وقالت:

«اتقنا»

«لا يقل أن أجعلك تتكبدن السير وتعرضين للبلل وللإصابة بالالتهاب

الزئوي وما دمت لا ترغبين في البقاء وحده لمسوف تبقى معاً وكأطفال للكلية
سوف يوزر لأنفسنا الراحة بأقصى ما يمكن»

وانحنى إلى الخلفه وجذب سجادة سمكة داخلة عن القفد الخلفي غطي بها
حالي نوبس وسأليه وحل حزام الأمان واقتررب منها وأحكم السجادة حولها ثم
جد ذراعه وأطأ مصباح البطارية واحتواها الظلام من جديد
وأصحت بصوته يأتي من مكان ما فوق رأسها بأفاه
«هل تتحررين بالراحة؟»

وأخذ قلبها يهتف وجف لها ولم تستطع أن تهر جواباً وأومات برأسها في
الظلام علامة للموافقة، وقال في خجعة حترمة:

«صباحاً... والآن يمكنك أن تنامي من جديد فقد نططر إلى الانتظار بعض الوقت
قبل أن يرسلوا من يبحث عنا، ولا أحب أن أسترسل في أحداث ثالثة»

كذلك ننام وجسها يتصلب في شعور لم تعهده من قبل! مجرد تواجدنا مع
شخص غريب في ليل ليل مكاني وفي تلك الظروف ربما لا يسبب له أي ارتباك
ولكنه يثر لها بطريقة لا تطاق. رجعت متصلة تلمس نفسها بأقصى ما
تستطيع على المساحة المخصصة لها من الكرسي وأغسلها تلهث في غير النظام. لم
تكن تعرف كم من الوقت تستطيع أن تجلس هكذا. ولكنه بعد دقائق قليلة لمركه
«قائلاً»

«هلنا جرى لك يا فتاتي؟ أهائي. ألا تستطيعين ذلك؟ أنا لست إنساناً فاسقاً، أنا
منك تماماً غير راغى عن الوضع الذي نحن فيه ولكننا سنظل حبيسين حتى
يلوح شخص يظننا علينا أن ننقل وبعنا وأؤكد لك أنني أسيطر تماماً على
تزعجتي القطارية في الوقت الحاضر»

«وأنا كنت في مقلع، وحاولت أن تريح رأسها في جهته ثم حوثة إلى جهة
أخرى، ووجدت أن رأسها يميل إلى الاسترخاء في تقابل لفت أسندته إلى المربز
الناقصة. ولكن ذلك كان أسوأ حالاً إذ كان راهاً وصلباً. ولم يبد شراي حراكاً
خلال ذلك. وأصحت بالتصاوح دفقة ومست يدها قباض سترته الناعم وكفى كتفه

محاذاً لوجهها، وخطر له حسداً ولم يترك رأسها يبيل لمواجهه، وقال في صوت
يصر عن الأمر الواقع،

بعكدا أكثر تعطلاً والآن استغرفني في يومك من جديد، لك فتاة مطيعة
وأصحت بالليله وبالنحاس وأغلقت عينيها، واستغرقت في حالة بين اليقظة
والنوم، في منتهى السعادة بدرجة لم تألفها.

ولم تترككم من الوقت مر عليها - خمس دقائق أم خمس ساعات - بعد ذلك
حينما أبلغها صوت غراي وهو يقول:
هنا نحن أخيراً، وصل فريق الانتفاضة

وفتحت توني عينيها ودفعت رأسها لتجد أضواء مهرة تنبئ بمباشرة إلى
السيارة التي يقفان فيها وكان غراي لا يزال يحيطها بذراعه يحسك بها في
قوة، وانحنى ليلتحق النافذة المجاورة لها وهو يقول:
«من أنتم؟»

وجاء صوت من السيارة الأخرى التي وقفت على حافة مياه الفيضان بـ
لألاً:

«هذا أنا يا غراي، أنا دومينيك هل بإمكانك أن تخرج لتخوض في الماء أم نجر
سيارتك؟»

«انظروا سأكون هناك...»

وانعصب غراي في مقعده وثبم في شجة ساخنة يوجه الكلام إلى توني
هناك في أسفل تام الآن يا هزيجتي

٤ - الهدية

وقالت السيدة وارين وهي ترفع صبيحة الغشاء لتضعها على خزائنه
لللباس:

«أحسنت بالقلق قلماً عليك يا حبيبتني رغم أن بنيامين أكد لي أنك كنت في
مؤمن تام مع السيد لورنس، واقترح هذا الشاب الصغير دومينيك أن يخرج
لنستطلع أخباركم - هل أحضر لك مزيداً من الطعام؟»

كانتا تجلس في غرفة النوم المخصصة لتوني بعد أن صمم العم بنيامين
على أن تأتي في الفراش وكان له رجب بها لألاً:

«يبدو عليك أثر الأرقاء يا أنطونيا... اخدي إلى الراحة لتعصكي من المشاركة
في الاحتفالات غداً»

وتذكرته توني وكان لمرما يطر لها أن تجد نفسها في صبيحة غراي لورنس
بعد ذلك، فقد لقيت منه ما يمكن... منذ أن صعد الدرج وكاد يصطدم بها
وهي تلبس رداء الغمام الرقيق منذ أربع ساعات لحظت بفت كأربعة أيام حادثة
بالأحداث... ولكن كان عليها أن تنسى ذلك.

وانتظت في أمها التي كانت تعلق ملابسها في الخزانة الذهبية في الحائط تقول:
«حبيبتني في الصورة يا أمي... هل هناك الحرون يعيشون هنا ومن هو
دومينيك هذا الذي خرج يبحث عناء»

كان غراي قد فتح باب السيارة وخاض في ركبته في الماء ثم انحس
وحملها بعيداً عن الليل ثم ركبا سيارة لانترويل نقلتها إلى البيت، ولم يكن

هناك مجال عندئذ للتعارف وبعدنا عاد الرجال إلى السهرة للحاضرة.
وقالت أمها:

«لا يوجد سوانا يا عزيزتي... لكننا سنكون ستة أشخاص على العشاء غدًا
بنيامين وأنت وأنا والسيد لورنس و دومينيك فنتش وأخته آن
ودومينيك هومرديز ودرعة ويسكن مع أخته في الأكواخ القريبة، لم أهابل أخته
بعد وهي تعمل معلمة في المدرسة القريبة، أنه شخص جذاب يذكّرني بشخص
عرفته يوماً ما لا أذكر اسمه الآن»

وابسмет لوسي: «لماذا لم تضع أمها وقتاً في التصرف إلى الموجودين وقت لوسي
كانت لها القدرة نفسها على كسب الصداقات، سألت في لحظة رقيقة:
هل كنن خللاً تمجيت الحضور وتركتني هكذا»

«أنتي أسئلة تحدث كل شيء عفواً... سافر بنيامين هذا الصباح إلى برمنغهام
ولذلك لم يأت السهرة السيدة جينز تدبر الأمر واتصلت بي جينز هذا الصباح
لتخبرني أن مديرة المنزل تلت إلى المستشفى لاجراء عملية عاجلة، واستأذنتني في
الحضور مبكرة بعض الشيء لأغني بشؤون المنزل لأن الخادمتين الصغيرتين
جديتان لم تبدريا على العمل وطماننتي السكرتيرة إلى أن السائق سيحضرني في
تمام السادسة والنصف ويبدو أنني لم أسمع جيداً لأن السائق كان مع
بنيامين... أسئلة يا عزيزتي فقد سميت لك بعض العناد»

«لا داعي للأسف... فقط كنت مشغولة، وانظرت السائق ولكن جلدسي ذلك
السيد لورنس»

ونظرت إليها أمها نظرة حادة، وسألتها:

«ما الذي يا عزيزتي؟ ألا تحبين السيد لورنس؟»

«لا لا أحب... انه أليف وجل وأيقم»

وانضمت السيدة وارين، وأخذت تربت على أكتفها في استرخاء

«لا تصرعي في الحكم يا عزيزتي! حدثني بنيامين عن السيد لورنس كل
زوج حبيبته... التي تلت في ذلك الحديث»

«أعرف! شبيهتي على ما يبدو أن كل من يعرفها لا يصدق عتيه عندما يراني،

أحس لو كنت شجاعاً»

وبدت الدخلة على السيدة وارين، وقالت:

«لم أكن أعرف ذلك، ونظرة يلسر من الواضح أن لورنس كل يحب زوجته
بدرجة كبيرة. ولقد تعبر بعد وفاتها، كل ما قبل شخصاً إيجابياً، كما يقول
بنيامين، ولكنه الآن صار شخصاً معقداً وسامحاً بل وعصبياً هذا يخلق
بنيامين كثيراً وخاصة أنه يعتمد عليه في العمل بعد أن أحس بالكبر ويريد
أن تغطي الأمور في سر»

تمهلت وقالت:

«والآن، تلمي واسترعي ليكون يوجد غداً يوماً بهيجاً»

وتهدت جدلة، وقالت:

«تلمي أنا عشي عيد الميلاد في منزل جميل كهذا. أحب أن تنجولي في أرجائه
وانضمت ولبقتها لليلة

«أضحت صاء يا حبيبتي، أحس أن فصلاً جديداً يبدأ في حياتنا»
وابسمت أمها وانصرفت.

وحشت لوسي في الفراش واستندت إلى حائط الوسادة للطرز، وأخط بصريها
يتجول في الغرفة باعطار، غرفة صغيرة مزينة أثاثاً بسيطاً، ولكن كل شيء كان
يحيى بالفراء، جدران خضراء تتناغم مع ستائر مزخرفة وكرسي سرير يزدان بفلوش
وهو البضج والسوسن والخشب الذي صنع منه المكتب وخزانة الملابس
والأبواب للترلفة والسقف المرتفع والسجاد الفخم على الأرضية. ووقع بصريها
على وعاء البسكوت المصنوع من الخزف النفيس على المنضد الجانبي وعلى
الترمس بجانبه وعلى كومة المجلات الصقيلة والزهرية البيضاء الصغيرة المزودة
بنتويات صغيرة...

لم يكن قد مضى على وجود أمها في المكان إلا ساعات قليلة ومع ذلك حدث
تغير كبير في سلوكها وبدأت عليها مظاهر الثقة بالنفس في شيء من الانهياج.
وكانت تتصرف كأنها المضيف وأنها اعتادت هذا النمط من الحياة المترفة طوال
حياتها، وحشت لوسي ألا ترضى أمها بعد ذلك بحياتها في مسكنها المتواضع

يحي هورس. وتحدث وحاولت أن تسي. كانت متهمكة غامساً. وأطعمت المصباح. وسكنت إلى الفراش الوثيق. واستغرقت في النوم خلال لحظات. واستيقظت لترى نساء في الرابعة عشرة من عمرها تميل إلى الطول قليلة الخمرة، تلبس بحيلة ررقاء من الباهيون. كانت برفع الستائر وتصلب شمس الشتاء الباهتة إلى لفرفة من خلال أخضان شجرة جرداء خارج النافذة. وظرب بعينين طارفتين ودفعت بشعرها الذهبي إلى مزمره عنقه وجلس وقالت «أهلاً من أنت؟»

واستدارت الثلاثة في ابتسامة عريضة، وقالت:

«أنا شعري. أحضرت لك العطور وتعتبر المسيدة ولربى عن عدم مجيئها الآن فهي لشعر الديك لزومي وتنتظره عندما تكملين استعمالك ولكن لا لتعجلين»

والجهت شعري إلى الباب بعد أن أهدت الرسالة ثم توافقت لنقول «أفنى أن يكون لشعري لون شعرك إنك تشبهين لصورة الفوتوغرافية التي في غرفة المجلس وكنت أظن أن بصور اعطى الشعر ذلك اللون ولكني أراه الآن بعيني لونها طبيعياً»

وخربت وأغلقت الباب خلفها

كانت صينية الأنظار على الطاولة المجلورة لسرير ورفعتها تومي على ركبتيها. وأضحت بشيء من الارتياح عندما رأت ألوان الطعام. كمية كبيرة من الفستق، وشرائح من الزبدة الطبيعية بيضة كبيرة ملحية وطبق من المربى لثبت عليه بطاقة كتب عليها:

عيد ميلاد سعيد يا حبيبتي. أخلص التمنيات طوال العمر كانت ابهطافة بحظ أمها. وابسمت تومي. وسكنت نفسها بعض القهوة. لتستمتع بإيام قليلة من السعادة ما دامت قد وافقت على الحضور ولكنها ينبغي أن تتجنب غراي لورس قدر ما تستطيع لتوفر لكليهما الهدوء. عندما توصلت إلى هذا القرار الحكيم الطمأنينة. وبدأت تتناول طعام العطور في رهو كامل

وبعد أن أفرغت آخر نقطة من القهوة نهضت لتظهر من النافذة. لم تكن قد

تعرفت على النزل في الليلة الماضية وكان أطيعها انه منزل طاق. مريح نوهج في ردهه بار المدفئة حيث كان ينهامين يجلس في الليلة السابقة على كرسي حريش يقفأش لطفي مطبوع. وأحدت بطير الان بن الفرج الأخضر المستند. وأعوطن الرهو. الجرداء التي سطر فصل الربيع وسينسب ان ميسى لطريق البيضاء كان احد المدخل الفدقيه في عتوسسر قرأت عنه في يوم من الأيام في المجلات. يرجع تاريخه إلى أيام كانت تجارة الصوف تتركز في تلك المنطقة حيث مربى أعوام كونزولد. يكثره على المزارع الممتدة ويهدب بعض الأتخام تنتشر على انزال المسند ورو. الحديقة وهشت أن تلك كانت المروحة التي تحدثت عنها أمها في الليلة السابقة والتي يديرها الشاب الذي أسرع لتجديتهم دومبيك وسوف تتناول العشاء معه وأخته في ذلك المساء. وحظها أنه شيء جميل أن يتواجد أناس كثيرين لتتخذ منهم عازلاً بينها وبين لورس. وانصرف بصرفها عن النظر المستد خارج النافذة للحظة. وراث من جديد شبح غراي لورس بخاصته الفارغة وبشخصيته الساحرة المتكلمة تنظران في عينيها في احد وكبرياء. وأضحت برحمة بسيطة واجهت إلى الهام الملحق بفرقتها

ونجحت إلى الطابق الأرضي بعد ذلك بتصلب سادة ترتدي فستانها الجديد بطون الفرفة العالق والذي يتسجم لهما مع لون شعرها. وعندما وصلت إلى الدرج النازل للسلم العريض المصروع من خشب البيلوط توقفت لتتجنب لذهة السفلية. وأدركت أن المتزل كنز يشبه حدى الصور التي تعرضها المجلات المصغولة. لم تكن الردهة صحية ولكن بد. كل شيء كأنه اكمل ما يكون من نوعه. وأضحت بأنها بحاجة إلى ان تعرف شيئاً عن تاريخ صناعة الأثاث. وسمعت صوتاً يقول

«أهلاً. لا بد أنك أنظريها»

واستدارت لترى شاهاً يقف عند المدخل خلفه يتسجم كل أشطر بشرة يلبس بطلون ركوب الخيل وسويت من النعوص. وواصل يقول «إنك تبدو كأنك توجد ريتية إعطى لدرج واتهي في الفرصة لأقدم نفسي لقد تقابلنا في الليلة الماضية ولكن في عصره الفيضان ركب في حانة سينة»

وهبطت ما بقي من الدرج ومدت يدها تصافحه، وقال:-

«أيا دومينيك فكري، فلاح وجنتيان...»

وأصعد يدها بكلك يديه ونظر في حدة إلى وجهها وهو راسه في عجيبة

«أخبروني تلك صورة طيب الأصل عن المسكية مبدج. ولكن يا لك. هذا

شيء سخيف لا تشغلك تلك الفكرة فالك شيء آخر»

وردت له الإجابة، وعرف من هو الشخص الذي كان أمها تعتقد أنه

شبيهه. كان من نفس طراز أفريدي الذي رحل إلى أسرايا. وأحس بحرق

بعاطفة، وقالت:

«أشكرك على هذه الكلمات الطيبة التي أشعر بالضييق عندما يحرق في كل

شخص كما لو كان رأي شخصاً.»

وواصل يقول:

«كنت لست شخصاً»

وأطلق يدها على كمره منه، وقال

«هل احتملت مقاومة بليلة السابلة؟ قال غراي انكها بقوها هناك حوالي ساعة

أو أكثر قبل أن أحضر ليجدتكها»

وأحس بحرارة تسري في وجنيتها عندما تذكرت ما حدث على مرأى منه،

ولالت:

«حلاً؟ لا أستطيع أن أفكر أبوت فلقد فعلت أن أنام حتى تصل الجدة»

وعلى قائلاً

«كان ذلك خيراً... فلقد حدثت غراي. وهو يستحق ذلك. انه يعتقد أن إغراءه

للنساء لا يندوم.»

وسألت:

«وماذا حدث للسيدة؟»

«ما زالت هناك في حدود معلوماتي، كان من العيث أن يحلوا معها في الظلام

ولذلك أكتفينا بمطبخ الشرطة بمكانها. وقد وضعت عدداً من الصواني الحمراء

على الطريق، يا لسو حظ غراي! فالسيدة جديدة لم يحضر على شرايتها أشهر قليلة

ولا بد أنه قد تكرر كثيراً.

وايتم للمرة الثانية استضافة عريضة، وأحس بشيء من الحقد في صوته وهو

يوأصل

«ومع ذلك فهو الذي حاضر بها في ابدا. انه لا يلوم إلا نفسه»

وحول الحديث قائلاً:

«لكن حضرت لتتصيه عيد الميلاد في هذا المستنقع! لم يكن على لسان بنيامين

سواك خلال الأسابيع الماضية، انه يحب العائلة بطبعه نكته ظل يمشي

وحيداً حتى ظهرت حادثة مبدج حطمت قلبه لفترة طويلة.»

«هل كنت تعرفها؟»

«بالطبع. كل منا كان يعرفها. كانت سيدة بالفعل.»

ولادت توني أن تعرف المزيد عن ابنة العم قفالت:

«كنت حادثة سيارة، وكانت تلود بناسها»

وأولاً دومينيك:

«صدا»

وسمع صوت حاد ينادي اسمه من أعلى الدرج فنظروا إلى أعلى ورأوا غراي

بوجهه القاتم هناك، وأحسّت توني شيء من الارتباك ولكن دومينيك

ابتسم قائلاً

«أهلاً أيتها الشمس المشرقة. عيد ميلاد سعيد»

وهبط غراي الدرج ليأخوها. ووقف ينظر إليها في برود ثم ركز بصره على

دومينيك يقول

«أين كنت؟ بنيامين ينتظر أن تقدم إليه التبرير»

وارتفع حاجبا دومينيك في حركة مضحكة، وقال:

«يا عزيزي يا عزيزي هل أن حيوان مربوط الأفضل أن أصعد لالوة بالأمل،

سأراك فيها بعد يا حبيبي.»

ولس كتف توني في خفة وصعد الدرج مسرعاً، ووقف غراي هناك

ينظر إلى توني في صمت، ولا لم تستطع احتمال اللوف لفترة أطول. قالت:

«عيد ميلاد سعيد يا سيد لورنس.»

ودعشت إذ رأيته يبتسم ابتسامه حقيقية نوعاً صحرية وحشت أنها لا يد أن تكون بركة عيد الميلاد. وقال

«وعيد ميلاد سعيد لك يا أطوبيا هل تحسب بعد بحنة الأوسر.»

«نعم أشكرك لم تكن بحه حقيقته فقد سم انقادنا في وقت صغير.»

«أصبر جداً بالنسبة إليك. هل كنت تودين أن بطون ذلك الموقف الساعري قد يكرر المشهد يوماً ما بشرط ألا تفرق سيارتي أثناء ذلك.»

ولمجدلت طريقته الساحرة. وقالت:

«أسفة لما حدث للسيارة، وأمل ألا يكون التلف كبيراً.»

وهركتيه، قائلاً:

«أعتقد أنها ستبقى صالحة للعمل.»

وحاول أن يلقي بحري الحديث، قائلاً:

«أخشى أن أكون قد قطعت حديثاً وبدأ بينك وبين الصديق فومينيك لقد تصادقنا سريعاً.»

واضربت وجعلها خشيعة أن يكون قد سمع ما دار بينهما من حديث لو على الأقل الجزء الأخير منه، وقال:

«لعم سمعت بالفعل ما تحدثان عنه ولا أرمك بالطبع ولكني أكون متناً إذا سألتني أي سؤال تودين عن المرحومة زوجتي.»

وأحسنت بأنه صطعها على وجهها ولم يعطها الفرصة لتجيب، وقال في ألمه:

«هل قام أحد بتعطيلك بالمثل؟»

وأجابته:

«لا! ليس بعد. نزلت منذ وقت قصير بعد أن تدولت تطوري في اللرائس لم أتعهد مثل هذا الترف.»

«سوف تقودين على كل شيء في وقت قصير بأي شيء يبدأ.»

كانت تود أن تقول من أي مكاني بعيداً عن تلميحائك القضيعة الساحرة ولكنها قالت:

«عرفت أن أمي مشغولة في المطبخ وموسمي أن أساعدها ولكني لا أعرف أين المطبخ.»

«لا تشغلي نفسك بذلك! غاي ريك لا يناسب العمل أمام سولد الساحق، إنه ربي جميل.»

واضالت في بلبانة ساحرة

«الظاهر حادثة جذا.»

وأحسنت توني بأنه ضايقها بما فيه الكفاية، واعتراها «عصيب ثلاثة:

«اسمع يا سيد لورنس! ربما كانت لديك أسباب تجعلك تعاملني بهذه الطريقة، ربما تجد سروراً في أن تهاجس وتهيس ولكنني غير راضية على الإطلاق عن ذلك.»

ودفع حاجبيه للأعلى:

«أهينك! انك تستين الظن بي... إنني لا أحاول بتاتاً أن أهينك، أرجو ألا تكوني تعين بذلك انك لا تعرفين قواعد اللعبة.»

«أي لعبة؟»

«هناك لعبة واحدة يمكن أن تكون بين أي رجل ولنا.»

«حسنًا. إنني لا أعرف قواعد اللعبة، وفي قرارة نفسي أنا فعلة ريلية ألم أقل لك ذلك؟ بل إنني لا أريد أن أعلم تلك القواعد.»

«لننسم وهو لا يكاد يصدق، وقال:

«ولكن لا تتظري مني أن أصدق ذلك، ليس من فتاة مثلك.»

وردت عليه في صعد

«ولتي فتاة أنا؟»

ونعرت سلاص وجهه فجأة بطريقة القهقهة، وذهبت السخرية الرقيقة لتحل محلها الصلابة وقال:

«انك تعلمين سريعاً يا أسة أطوبيا وأريين، هيا سأطوب بك في البيت.»

وأسلت بحرفتها، وقادها عبر الردهة، وظلت للحظة تفكر كيف تجذب ذراعها بعيداً ولكن أصابعه كانت كالفرولة من حلال سيج كنها.

كانت رحلة التعريف بالبيت شيئاً حقيقياً، فقد أخذ بفتح الأبواب للزيارة من الزدعة واحداً بعد الآخر ويقول:

«هذه هي غرفة المكتب يستخدمها بناميين كمكتب وخطوة، أما هذا الباب فيفتح على غرفة الصباح ووراءها المستنبت الزجاجي، وهذه غرفة الطعام، أما هذه الزدعة فتؤدي إلى المطبخ وإلى غرفة النظافة»
وحاولت أن تخلف الجوف فقالت:

«أشعر بأنني احترت تماماً بيت في ديفون بأجمعه يوازي غرفة واحدة من هذه الغرف»

وفتح الباب الأخير وقال:
«هذه هي غرفة الجيوس»

وولدت لتفحص الغرفة الطويلة الضيقة بأبوابها العريضة، وهنا كان النزل احتفلي بممثل في السجادة والستائر والكراسي والأرائك، وتفرق النوافذ الطويلة كانت مائدة مربعة مغطيت بزجاج موزن بالألوان الثلاث الطائفة وكانت هناك مناضد جانبية مطعمة بدهن وخزانات ذات واجهات مطروقة لها أبواب زجاجية تسمح برؤية اشخب من الفضة والصيني كانت هناك لفحة كريستال تطل من السقف تتلألأ كأنها خيوط الشكوك طعمت بطرات الندى، وشدها صوت غراي لورنس أجاب إلى الأرض من جده وهو يقول:

«صنناً»

وعلمت في العجدة:

«إنها أجمل غرفة وأينها في حياتي، لا يمكن الجيوس فيها بالتأكيث لتفحص ليس في مثل هذا اليوم أو بعض، إنها معرض يغطي منه المناجاة»

ورفع حاجبيه اللامعين وقال:

«هناك البعض ممن لا يأخذونها هكذا... بل يعتبرونها جزءاً معنياً لشخصيتهم»
ومرأة يرون فيها جدهم الشخصي»

وتقدم عبر الغرفة إلى المذقة العالية المصنوعة من الرمر وأمسك بصورة فوتوغرافية داخل برزاز من الفضة، وقال في حدة:

«ها أنت هنا» والان هل نهيمن لماذا أنزل ظهورك ما أنزلوه من انطباعات؟
وأحدثت عنه الصورة، وأمسكت بها بين يدي تترعدان... وحلقت قبها وأمسكت
بعضاس غريب وهي تنفخس وجه المرأة التي ظن أن بينهم وجه شبه كبير
الشعر الأحمر الذهبي البراق والبشرة الشفراء القوام، وما تبقى... وهزئت رأسها
وأعلنت الصورة إلى غراي قائلة:

«لا أنكر وجه الشبه بالطبع، ولكنني لا أظن أنه يساعد تلك الذاكرة، إن لها جمالاً
حقيقياً لا يوجد لدي»

وأعاد البرواز الذهبي إلى اللذة وقال:

«وانك لا تريه لأنتك مصفاة عليه، رهبة في المرأة. ولكن هل خطر لك أنك لا تريه
نفسك أبداً كما يراه الآخرون؟ وإنك تريه نفسك فيها يسونه قلب الصورة أما
إذا وضعت صورتك إلى جوار هذه الصورة فسوف تقدرين ما أقول»
«هذا شيء فارق طاقتي. ومع ذلك أظن أنني لست على هذه الدرجة من الشبه
بـ... مبدج»

وعندما استطارت وجدت أنها عند المدخل ولدت علاها شيء من الخجل
والحمالة. كانت لعل بعض الأغصان الخضراء، وقالت:

«توني... حينئذ... أنت هنا كنت أبحت عنك؟ عهد ميلاد سعيد ولك يا سيد
لورنس»

وأمسكت تقول:

«طلبت إلى البستاني أن ينقطع هذه الأغصان، ولا أستطيع أن أدخل بها حتى لا
يتساقط منها شيء، على السجادة الجسدية، الزدعة لأننا سنحاول عشاء» هناك»
«حياتة قال غراي»

«أنا مضطر للاستئذان»

ولوماً لها وانصرف من الغرفة.

وتنهضت السيدة ولارين في سعادة وقالت:

«كانه رجل يلعب الاهتمام»

واندجرت توني تقول:

«أراك مستعده لامتداح الشيطان لو كان مقباً في قصر الطرق البيضاء وأنتت
بجعلها من الأغصان على أرض الرعدة وقال:

«ها هي يا عزيزي، لذا جئت معي إلى المطبخ أريك مكان السلم، وتستطيع أن
تضعي بعض الأغصان حول الدرابزين أنا وأنته، ذلك ستجعلها بطريقة
جميلة».

«والله يا لطيف، وتحتها نوس شاردة بفكرها - لولا ذلك الموقف
السحب من غراي نوس لاستمتعت حقاً بالدمتها في تلك الفترة ولكنها
كانت تحس بالتوتر والخوف لا تعرف مصيره كما لو كانت حيثها تتسرب وغماً
عنها.

«والله من بعض قلقها وهي عزين الرعدة وأنتت بكتلة خشبية في النار
واختلط عطر خشب شجر الطاح بأريج خشب الصوبر كانت الرعدة هادئة إلا
من فرقة الكتل الخشبية في انوار تلطع الصمت بين حين وآخر وصارت تقطع
وتقص الأغصان وتصد وتهبط على السلم تضعها حيثما استطاعت، حلق قروص
الوجع والسيوف القذبة المعلقة في أمجادها المصنوعة بين أعمدة الدرابزين المنقوشة
تنزل من البهر فوقها بحبال وتضع اكنيلاً جيللاً للساعة الأثرية العالية.

«وجدت بقاة من نبات طليل يقال له الخلد تحت كومة من الأغصان
فأمسكت بها في حبة، وعند ذلك جاء دومينيك فتنسج الدرج صرعاً وأخط
يصدق في أحجاب، وقال:

«جعل للفاية أصبح الفجر ينتمي إلى عصر ديكر أين تضعين هذه الباقة
الجميلة؟»

«وأخذ منها بقاة الخلد وولعها إلى أعلى كأنه يستطلع المكان المناسب لها
وقالت:

«ليس لها موضع هنا، سأخذها إلى المطبخ».

«وبدا على وجهه الطلع وقال:

«كيف؟ هذه خسارة كبيرة، يعني أن نحافظ على التقاليد».

«وقيل أن تترك نوس ما كان يحدث لأمك بالباقة عالياً ومكانها.

«وفي تلك اللحظة بالذات انفتح الباب الخارجي، ودخل نوس إلى الرعدة،
ولم يد على دومينيك أي ارتباط بل ألقى بالتحية وهو يقول:

«هنا جرب بقاة الخلد أنها ممتازة».

«وقدم الباقة إلى غراي في خبث قائلاً:

«جربها بنفسك».

«ونظر غراي إليه نظرة صدملة قائلاً:

«يكفي ما قلته فيها».

«فلما بالتصايب رسا عبر الرعدة، بهما أين ذهبت هناك بركة عيد الميلاد يا

زمويل السلاج».

«كانت أمامك الفرصة في السيارة ليلة أمس... من المؤسف أنني حضرت على

عجل لا ذاك».

«وبلغ غراي باب غرفة المكتب والتفت ينظر إليها وحيا بلقان ملتصقين بينا

أحد دومينيك يلوح ببالة الخلد بطريقة عارضة بيد اليسرى ودخل

غراي الغرفة وأغلقها وهو يقول:

«إلها إلى المحرم».

«ونظر دومينيك إلى نوس وقد ارتفع حاجباه الأشران، وقال:

«هناك ساحة» ولقد صد الشيطان».

«وألقى ببالة الخلد على النضدة، وقال:

«لا أريد أن أتركك، ولكن لدي مهر يعني أن أعني به ولدي أعمال أخرى،

وسوف تلقي في المساء مرة أخرى وسأحضر شقيقتي معي وأريد أن تذهبها،

وأني في أمتي ستعارفان، هل تعرفين الوقت المحدد للاحتفال؟»

«تأملت أمي أنه حوالى الساعة والتصلبه أي مكره قليلاً، ولكنها تريد أن تتيج

لغلامتين وقتاً للتنظيف لتعدا إلى الغرفة في وقت مناسب».

«والتصمت لواصل:

«هنا ولدت لتكون مديراً، أقصد أمي، فهي تفرس على السائل الصفوة مثل

هذه... وطفلاً أن مديرة المنزل في المستشفى فاتها تعني بكل شيء في المطبخ، وهي

فحب ذلك»

وأولاً توصيك، وقال:

«من حسن الخط أنها تـ والا لحرماً فرحة مائة عيد الميلاد تضايق بنيامين كثيراً عندما حلت السيدة بانتسورن إلى المستشفى وسعد كثيراً عندما وافقت أمك أن تقوم مقامها، لقد قابلتها مساء أمس لفترة قصيرة وشعرت بأن لديها مقبرة كبيرة وهي لطيفة للغاية»

وابتسمت توبي لأطرافه، وقالت:

«إنها طيبة من الدرجة الأولى كذلك»

ولحق شتميه وقال:

«لا أستطيع أن أنتظر حتى يحين موعد نصيبي من الديك الرومي. أراك حوالي الساعة يا عزيزتي»

وصدرت ترفه وهو يسير عبر الردهة بخطوة الرشيق المتبحر وتذكرت أبريك للمرة الثانية. لم يكن بينهما وجه شبه كبير ولكن كان لها خلة الدم والرح لنفسها ورأت فيه تزياناً يشفي ما يهدده غراي لورنس.

وهبط بنيامين الدرج بينما شرعت توبي تزيج بالة الحبل خلف حصن من نبات الالهكس بأطرافه الشائكة ووعرة الضرب إلى اليمين كان يرس ساعة احتاط وسعت ولح خطأ والتمعت لتجد خلفها برقعاً في مرور

بدا.

كان يلبس سترة من اللطيفة الفرنسية والمموكل يتدل من شريط حرق عتفه أما شعره الأبيض ودفقه لمكان يدلان على الأناقة، وهذا لتوبي أكثر مهابة، والجهت إليه في شيء من الاستعجاب لتقدم له التهنئة بعيد الميلاد. وقال:

«عيد ميلاد أكثر سعادة لك أنت أيضاً يا عزيزتي»

وعانقها وهو يقول:

«اصفحي عن رجل عبور يبدو عليه الكسل ويضي فترة الصباح في فرائشه حل لصين بالراحة بعد ذلك العناء وبعد حدثت السهرة المؤسف في الليلة الفائتة» وأكدت له توبي أنها بحالة طيبة هذا الصباح، وأشار إلى الردهة، وقال:

وهل هذا من صنعك؟ إنها مفاجأة سارة للغاية بالنسبة إلي، أن أجد هذا المنظر الجميل في استقبالي، لقد مضى زمن طويل لم يسعد لحظ منزلنا بثل ذلك المظهر في عيد الميلاد منذ أن كانت زوجتي معي ومضى على ذلك أكثر من عشرين سنة كل من عانتها أن تحضر الأغصان الخضراء من الحديقة وتعلق الأكاليل كما فعلت، وكانت تقول - إنها تحاول أن تجعل المكان يبدو كمسرح لتريحة عيد الميلاد»

وأغرورت عيناه ثم عادت إليه الابتسامة وقال:

«لكن ينهي ألا آخر، لقد من الله عليّ بهدية خالية لم أكن أتوقعها فحضررت أنت وأمك هنا بل كان هناك مئة أمانية لأن أمت تقبلت من طيب خاطر مسؤولية المطبخ»

هاه... إنها تحب الطهو وتستمتع بكل لحظة في هذا العمل»

«وأمك أن تكوني أنت أيضاً تستمتعين بالامسك معنا هنا»

«نعم... أوه... نعم بالطبع أستمتع»

«لأنها وإن كانت لم تستطع أن تواجه عينيه»

وعانق في هذا:

«ولكن... بدون تحفظات»

وابتسمت بسرعة، وقالت:

«أوه، لا تشغل بالك... كل شيء على ما يرام»

«ألا تريد أن تهريني؟»

ودفعت يداً على وجنتها، وقالت:

«إنه أمر تافه وأعتقد أنني قد أكون غطية، إن السيد لورنس لا يكاد يظفر لي أنني أذكرك»

وتولعت بعدما تذكرت أن بنيامين أيضاً يحب ميدج وإن كان يستمتع بتذكره لأوجه الشبه ولا يثور بسببه كما كان يفعل غراي.

وأولاً بنيامين:

«تذكرت في أن هذه هي المشكلة... ولكن لا تشغل بالك كثيراً يا طفلي العزيزة

لأننا أعرف غراي كأنه ابني. انه رجل قوي وانفعالاته قوية كذلك وقد يبدو قلباً ومزجاً في بعض الأحيان. ان ما عائلته غراي جملة يتخاصم مع الحياة بعض الوقت ولكنه سوف يجد نفسه حياً في يوم من الأيام وانتي على ثقة من أنك ستجدينه يتحسن مع مرور الوقت.

وأومات في تشكك فقد بدا غراي كـ شخصاً لا يمكن أن يلبس وقالت: «سأحاول أن أتحادثه عندما يشعر غصبي وسوف أحتمل فهي على كل حال فترة قصيرة ولن أفسد لرويته على الأغلب بعد عطلة عيد الميلاد» كان بنيامين ينظر إليها في ذهنة وكان على وشك ان يقول شيئاً ولكنه لم يراه. وقالت توني على عجل.

«أعتقد أنه يسكن في لندن ليكون قريباً من العمل» كانت تحس احساساً غريباً أن بنيامين كد يقترح اقتراحاً يصلها فيه التزاماً لم تكن تريد أن تتحمل.

وجلس بنيامين في أحد الكرسي الوثيرة بالقرب من المدفأة بينما جلست توني في الكرسي المقابل له. وأوما إليها وانتم ابتسامة أحست معها أنها مصدر سعادة له. وردت له الابتسامة وهي تحس بدفء الحب يمر في عرونها. وقال رداً على سؤالها.

«غراي؟ له شقة في لندن. ويسافر الى الخارج كثيراً ولكن انتم لا زالت هنا في الطرق البعيدة. كان و مديج يقطنان في الجناح الآخر من البيت وظل يقيم هنا بعد أن تركتنا وقد شكرت له ذلك»

ونظر حول الغرفة الى البهر قولها. وواصل يقول: «هذا البيت اشتراه جدي وعشت هنا طيلة حياتي وفكرت في بيعه والانتقال الى مكان أصغر ولكن ذلك ليس أمراً سهلاً في مثل عمري. انه يزعج بالذكريات بالنسبة الي...»

وأومات في تعاطف معه ورائه يتحسس أحد جيوبه الداخلية وقال «أرجو أن تلقي هذه الهدية للتواضع بمناسبة عيد الميلاد يا أنطونيا انها قطعة صغيرة متواضعة. ولنت أنك قد لا ترضين عن أي شيء ملقت لتظهر. وقد

صنعها لك جو لا يتحرر وليس العمل بنفسه بعد أن حدثته عنك يا عزيزتي. وكان سعيداً للغاية بهذا التكليف»

واخذت اللقائنه وتحتنها ووجدت داخلها صندوقاً صغيراً عليه حرف وفي ركن منه وقتحه ووجدت بداخله حلية من حجر الأوبال على سوار ذهبي دقيق ولبت توني وقالت: «أوه»

ولم يرها جمال لون الحجر الثمين. كئي راتماً في لون اللهب منطلقاً بلون أزرق غامق وكانت الحلية مغطاة بسياج من الذهب يتشقق مع الشكل الطبيعي للحجر الثمين. وقالت:

«انها أجل هدية قدمت لي في حياتي. وبها تاريخ ميلادي كذلك؟ كيف عرفت؟» ولبت عنها بنيامين الرماديتان ذهبي. «لا أنها ترى أباهما جالساً أمامها. ولال

«ان لي جواسيس. العاشر من أكتوبر/نشرين اولي اولك هامبتون أليس كذلك؟»

«لقد كنت نفسك عند البحث عنى فقط لـ... لـ...» وعادت النظر الى الحلية المصنوعة من حجر الأوبال وقالت: «أشكرك... أشكرك كثيراً يا عمي العزيز بنهايمير» وقال حلقاً:

«ارغمت تماماً لأنك مررت بها. كنت أحس ذلك الكبرياء العائلي فيك» وحررت رأسها صاحكة. وقالت:

«أكون ساذجة لذا سمحت لكبرياتي السخيف أن يجرمني من هدية مثل هذه. انني أتحبها كثيراً عن الاحترام والاحلال لروابطي العائلية»

وقال بنيامين في رلة: «لا. اننا صغيراً عن استحقاقك أنت طـ...» وربع رأسه لينظر نحو كتفي توني. وقال:

«غراي... تعال وانظريه

لم تكن تومي قد عرفت أن غراي يقف هناك وأنه ربما سمع قسطاً من الحديث الذي تار بينها وبين عمها بنيامين. ووقف غراي خلف كرسيها ولكنها لم تنظر نحوه. ولو رأت سحرة البادية على وجه قلبها ضاع فرحها بلطيفه وأعادت الحلية بعناية إلى صندوقها المعدني ووضعتها على الطاولة الصغيرة بجانبها. كان بإمكانه أن ينظر إليها، أراد ولكنها كانت تأمل ألا يفعل ذلك. ورأت يديه تمتدان لتتقاطعا الصندوقي. وقال:

«إنها قطعة صغيرة جميلة. كانت مارشا على صواب عندما اقترحت سواراً بدلاً من السلسلة. ورأيي أن يضع شيئاً مشابهاً لآلة السيدة ريفر سوف نلتئم مع مارشا في الموسر».

وأعاد الصندوقي إلى المصيدة وقال بطريقة عارضة:

«هل أعجبك يا أنطونيا؟ إنك سعيدة أخذه».

ونجست في أن تحتفظ بصورتها هادئة رغم أنها كانت تتفعل بالمضرب

«بالطبع أعجبتني... انني أحبها».

كان تعليمه قد حول الهدية الشخصية القيمة من عهد إلى موضوع عمل يفكر من العاطفة أما كتمانها التي حاور أن يلبسها فمعة الأوبة فكانت شيء أهانة، ثم من كانت مارشا كذلك؟

لم يكن بنيامين عن استعداد لمناقشة أي موضوع يتصل بالعمل وسأل غراي:

«ماذا تم في احتياض المشروبات الخاصة بالعشاء؟ هل أخذت أية ترتيبات؟»

ووضح من تحويل الحديث أن بنيامين لم يكن غاملاً عن التغيرات الخفية

اسم تومور بين غراي و تومي. وواصل بنيامين حديثه قتلاً

«من هذه المناسبة يلقى بها أفخر المشروبات. فلدينا خفيف خاص اليوم يا بني وببقي أن نهيء له ولقناً سعيداً حتى تشعر أنها في بيتها هناك».

وأجاب غراي:

«بكل تأكيد».

ونظر غراي نحو بنيامين وقال:

«صافى وأطمن نفسي».

وتركها وانصرفه ونظرت تومي بعينين طارفتين تجاه بنيامين وقالت في استكانة:

«رأيت بطلتك، قالود مفلود تماماً بيننا».

كان الرجل العجوز مسح عدسة لوموكس على متدبل من الحرير بلون نكريم. وكان يعرف أنه لا يمكن أن يطمع في اجابة ودية من غراي ولكنه مع ذلك لم يكن يفقد الأمل بل على العكس كان يبدو كأنه ينظر بعين الأمل إلى شيء ما، وقال:

«الصدافة ليست المدخل الوحيد لتحقيق التجارب بين الرجل وامرأة يمكن أن يكون هناك لغة تجارب بشكل ما كنقطة لبداية».

واحتاجت إلى لحظة أو لحظتين لكي تفهم ما يعنيه، انفجرت بعدها في ضحكة جاحظة. غراي وهي.. لو كانت تلك هي الطريقة التي يفكر بها بنيامين فلماذا تكون طريقة مفرطة في الخيال لا تستحق حتى أن تناقش».

وكان الرجل العجوز يرقبها بعين كانتا في يوم من الأيام صاليتين كعبيد. ولكن ما حدثاه من الصداقة عبر السنين تم تعويضه بالحكمة والتعلم، والان كان وهو ينظر إلى تومي يلقى التشجيع والتعزيز بما يراه.

٥ - الاصل والبديل

وحدثت توني إذ رأت أنها ستمتع بعيد الملا وربما كان لعدم ظهور غراي أثناء وجبة الظهيرة داخل في ذلك. وقال بنيامين لـ غراي ذهب لفتح عبور الكراج المحي بـر السيارة لأصلاحه. وعندما حانت الواحدة ظهرا، قلنا أن الأمر يحتاج إلى وجوده هناك لفترة أطول. وقالت السيدة وارين: هذه وجبة خلطة حتى نظل الشهيبة مفتوحة لوجبة العشاء.

أعدت شطائر باللحم والسلطة وغطائر محشوة بزيج موزم. وجلس الثلاثة حول طاولة صغيرة وأطاحت توني أمها على الحديقة الأريال غابت السيدة وارين أعجابها الشديد. وكانت هي الأخرى حصلت على صندوق من طبق الخبزي المستوردة من باريس وقدمت لبنيامين شايبة عنها وعن توني عذبة تتمثل في نصف درينة من متاعيل اليد المصنوعة من الكتان الأصيل.

وبعد الغداء ألحج بنيامين أن يقوموا بجولة في المزرعة كان الممر قد توقف خلال الليل وكان الجو معتدلاً، ظهرت فيه بعض السحب ولق

عطف هي رياضتي اليومية، لن نسير طويلاً، ولكن بالقدرة اللازم لصحتي التي أجد عالمي ينكمش باستمرار، لاني أجد أنني كنت المزرعة كبيرة نوعاً، والآن فلن أصلي في لندن يستغرق معظم وقتي، وقد بهت معظم الأرض هنا لأشخاص يستطيعون أن يجعلوها تنتج أفضل بكثير مما أستطيع.

وناروا حول المرح حيث كانت الأغنام ترعى العشب، بين الأشجار الضخمة، وانتهوا عند الاسطبل ليروا المهر الجديد. كان يرقد متمدداً على العشب الجانف في

مظهر مستحرة على الاعجاب وفي رعي كامل وبالقرب منه أنه يلونها الكستاني الجليل تخضع الطعام في حدود. وعلق بنيامين عندما رأي توني وأمه تأخذها التثوية بسبب المهر قتلًا.

ولم أستطع مقاومة الرغبة في الحفاظ على سبل كلبتيينا كانت فرس طيبتي وأحببت هذا الاستمرار، وكان من علة عييج وغراي لن يركب الخيل كثيراً وهذا هو حصان غراي لوسيلر... إنه حصان عنيد ولكن غراي لا يجد صعوبة في أن يسيروا.

وعندما اقتربوا من الحصان أدرك رأسه واتسع ثقبها أنه ورأت توني أنه بالفعل الحصان الذي يناسب غراي لورنس.

واقف بنيامين ليختبر باب الاسطبل ولينأكد أن لوسيلر لن يستطيع أن يحمي عليهم، وصهل الحصان في غضب. وانسم بنيامين ساخرا يقول: أحببت أن أطمئن غانا لست فارساً. ومافنا عنك يا أنطونيا! هل تركبين الخيل! وأجابته:

«كنت أركب أحياناً لقد كانت لي صديقة في المدرسة شغوفة بركوب الخيل، وأحضر أبوها على أن يطلع لـ رسوم التدريب حتى أكون في صحة دينيز. وعندما تركنا المدرسة وأصلت دينيز تعليلها لي الجانصة وانقطعت النورس.» وأربنا قتلًا:

«يعني أن تتدرب من جديد مستعدين في غراي مدوباً ممتازاً لن يتردد في اصطحابك معه في يوم ما.»

وحظر لتوني أنه يمزح، وظهرت اليه ولكنه لم يبد كذلك، وابتسمت أمها وقالت:

«إن توني تعشق ذلك! أليس كذلك يا توني!»

واصطنعت توني صرناً لا يعبر عن معنى، ثم ألهمت إلى المهر ثانية لتلقي عليه نظرة أخرى.

وسمع صوت سيارة كان غراي نفسه يلونها إلى الساحة الداخلية ونزل عن

مقعد القياه وانجد تاحيتهم بقول

«ه نحن على الطريق مرة أخرى، كل شي نخلف من الليل ويسير على مايرام، ان
دكنر ، عامل محارز ولكن السيده دكنر غاضبة فقد أحرت زوجها عن
عشاء عيد الميلاد»

وتثبت توبي بهاب الاسطبل فلد اثار ظهور ذلك الرجل المفاجيء قلظها
واضطربت فطأت قلبي كار كل شيء حافظاً واثماً في الساحة ولكنه ظهر ليدمر
المسود بخشونه المشبه نقات.

وقال بنيامين :

«كنا نتفرج على الجياد ياغراي وبالمنااسبة فإن أنظوبيا تركب الخيل ويسمونها
أن تصحب في زفة على ظهر القرس عندما تستعد كليتيها صحنها من
جديد، والتأت الرأس اللامع الجاهل يقول
«صحيح يا أنظوبيا! تسدين بصحبي»

وبدت كلباته غابة في المزانة، ولكنها أحست فيها بنفخة الصحرة وحطت
«أكون في منتهى السعادة»

وسار الجميع لجهة البيت ولزمت توبي جوار بنيامين، وكانت تستطيع أن
تسمع أمها خلفها لتحدث مع غراي الذي لم يبد اهتماماً بحدثها

كانت وجبة عشاء عيد الميلاد قد غارت نهايتها، وتوردت وجنتا السيده
وأربى حياء من الثناء الذي حظيت به لجهودها حتى توبي التي كانت
تعرف جيداً مهارة أمها في الطهو أبدت استحسانها، كانت تجلس في موضع
الشرف من بين بنيامين وزال عنها انفعالها بالاضطراب من أثر الشراب
الطاهر الذي قدمته شيرلي والفتاة الأخرى، كل كل شيء مقبها بالسعادة
وبروح الأسرة، لم يكن ثمة ضيوف يتكلمون أر خدم مثقلة لوسفات يلتزمون
بالرسميات ولم تكن هناك كذلك ضيوف من أنوات المائدة تتجر الأرتياك، مجرد
عشاء عائلي تتناولوه أسرة عادية كار «دومينيك يجلس الى جوارها وأخته أن
تجلس أمامها، وهي فتاة جميلة سمراء ذات عيني جلاتين وكان هناك كذلك

غراي لوريس، ولم تكن راغبة في أن تعتبره سوياً بأي معيار ولو كان بالامكان
تجاهله لهذا كل شيء آخر ممتاز»

كانت توبي تجلس فستان السهرة الأزرق بفتحة عنقه الواسعة وبأسلوره
للمكتشفة المصنوعة من الجورجيت، ولدت ثبنت حلية الأوبال حول عنقها
وأستند ظهرها الى الكرسي محاول أن تكسر ثمة من ثمار الجوز، وجلس صوت
دومينيك الضاحك يقول

«طيس هكذا، هذه هي الطريقة التي تكسر بها»

وجذب كرسيه الى جوارها وأخذ كسرة الخدق وكسر الثمرة عند منتصفها.
وعطت قائلة :

«ممتاز»

وأخرجت للمحتوى من أحد التصفين ولذمته اليه قائلة:
«تتأسف»

وأخذ قطعة الجوز واستقرت يده على يدها بعض الشيء وقال
«أحب أن نطعم أكثر من ذلك يا عزيزتي»
واجمعت له قائلة،

«أه حقيقة»

كان في عينيها أقرب شياً بأقربان له الروح نصها التي تجعل للحيلة نكهة
الروح، ونظرت توبي بالتقدير نحو أن التي كانت تلص على بنيامين
أعبار مادة الضنن التي تدرسها كانت تبدو أكبر بكثير من «دومينيك» في أواخر
المقد الثالث من عمرها تقريباً، وقالت «دومينيك»
«أنتي لطيفة للغاية»

وأنتي نظرة غير المائدة، وقال:

«إنها كذلك وهي أهدى طهيعة ممتازة، وتعني بي جيداً»
«هل تعشان وجدك»

«نصنا منذ وفاة أبونا، لابد أن تأتي لتزوري كوخنا الصغير انه جميل على غير

حالة، وأعتقد أنه بنى أصلاً للرأسي عندما كانت هذه مزرعة بالفعل...
ولست...»

ونظر آل بيتامين الذي كان لا يزال يهاث أن، وواصل:
«حسنًا... وليست مشكلة لأحد الآخر...»

جعل نظن أنها هكذا»

هوكل هي عهد ذلك»

وواصل في صوت خفيض:

«من المفروض أنني مدير للمزرعة ولكن لا يوجد ما يستحق أن يندل، انتي أنتطع
أحياناً إلى أن أكون عملاً يتناسب مع مقترتي كرجل، شيء يرضيني حقا»
«هكذا لا تفعل!»

«قد أفعل في يوم من الأيام عندما لطفت أن . لا لا أستطيع أن أتركها وحدها .
فولكن ألا تستطيع أن تذهب معها؟ إنها منكرة . وتستطيع أن تمهد عملاً في أي
مكان.»

وزم شفتيه وحز رأسه قاتلاً،

«المكان الذي أحلم به هو أستراليا. الأرض الواسعة الرحبة ولكن أن لا تريد
أن تهاجر.»

وعادت توني تقول:

«أستراليا تجذب الملاحين. كان في صديق ذهب ليعمل بالزراعة هناك.»

هوكل تلحي معه:

وقالت في مرارة،

«لم يطلب عني.»

وحز دومينيك عن استنارته قاتلاً

«إنه غيرا تينتي يا صبيتي سأطلب منك ان تصحبي عديدا أذكرك في
الذهاب.»

«نعم. أفعل وأسجلها عليك»

وهجعت وعانقها عناقاً سريعاً مرحاً.

وانتفت غراي إلى السيدة وارين وقالت شيئاً، وطافت بعصرها حول

المقعد، لم نظرت إلى بيتامين وقالت:

«أين تشرب القهوة يا بيتامين؟»

«في غرفة المكتب إلا وألق الآخرون.»

وعسى دومينيك إلى توني.

«الرجل العجوز لا يرغب في أن يدخل إلى غرفة المدوس هذه الأيام كان مبدع
عجب أن أجلس هناك.»

وتحدثت السيدة وارين، وجذب غراي الكرسي الذي كانت تجلس عليه
إلى الخلف وقالت:

«مستريحكم أيا الرجال مع قرايكم بعض الولد.»

والجهت إلى لطيف لتعني بصنع القهوة.

وصعدت أن مع توني إلى غرفة نومها لتعب ظهرها وجلت أن جل
الكرسي الصغير المسند أمام التبريجة، وتحدث حافية يدها لتخرج المشط
وتهدت قاتلاً.

«كانت وجه شهيد. أن أمد طاحية ممتازة . وكانت بطة إذ أنجزت كل هذا بعد
أن نلت أدا المسكحة المستشفى، وكل السيد وارين قاتلاً. ويرجع الفضل
لأمل.»

وأحدث فشط شعرها ثم التفت إلى توني التي كانت ليلف يديها وقالت:

«كيف يكون أحسن الفتاة عندما تعرف فجأة أب أصبحت وريثة من لاني.»
وردت توني في دهشة.

«وريثة؟ من قال ذلك؟»

«أوه يا عزيزتي هل أخطأت القول؟ لعل كما قاله دومينيك أن كل شيء تم
ترتيبه، وأنتك ستعيشين هنا وفرح للغاية وهذا لي الموضوع كأنه قصة خرافية
قلنا يحدث مثلها هذه الأيام وانسي أسفة إذ تكلمت قبل الآن.»

واستترخت على الكرسي من جديد وقالت توبي:

والانتصاب! كانت غلظة غير مقصودة، ولكنها صدمتني للحظة، وكما ترين فقد حدث كل شيء بسرعة خاطفة حتى أنني لم أشعر بالحيرة كنت دائماً أستطيع أن أحكم لي شؤني وأأخذ القرارات لمسي وأجدي الآن غير واقعة من أي شيء.

وأومأت أن لي تعاطف، وقالت:

«أنهم إنني كأمراء أثأثر بأحساستك، والآن قرلي أنك صفتت عن تدخل في شؤرك، ولكي تبرهي على صفحك ستأبين وتترين القهوة معي في يوم قريب لعل أن ترجعي إلى لندن».

وقالت توبي:

«سأزورك بالتأكيد ما الموعد الذي يناسبك».

«هذا صيحا».

«صدا، أحرص على الموعد بالموعد».

وأخذاً جيطان اسرج من جديد، ولم تكن توبي تعرف أنه مع شروق شمس اليوم التالي سيتغير خط حياتها كله.

كان الرجال قد جلسوا في حجرة المكتب عندما دخلت وكانت مسز وارين تصب القهوة من براد كبير على نضد جاتني، وابتسم بنيامين لتوبي عندما جلست له فجنان القهوة. وكان يقلب صفحات اليوم بمسوي بعض الصور... أحضرته مسز وارين وجلست توبي على السجادة عند قدميه توضيح له مداسات الصور القديمة بها... وقد أخذت بعض الصور قبل مولدها وظهر أبوها في كثير من هذه الصور.

وشرب دومينيك القهوة ثم استأنى في الانصراف لبطلين على المهر الجديد.

وجلست أن مع غري على إحدى الأرائك في أسفل النافذة وقالت:
«أوه! هل لي أن لأراك؟ لم أر المهر بعد».

ونهر غري ليصحبها، ونظر دومينيك إلى توبي يدعوها للذهاب معهم، ولكن بنيامين وضع إحدى يديه عليها قاتلاً

مستقي أنطونيا في صحة الرجل العجوز أليس كذلك بأنطونيا»

وقالت على الفور

«بالطبع، سأبقى معك».

وجلست السيدة وارين الخبل الخروي المتصل بالجرس تنادي شيرلي، وصحبها لانية إلى المطبخ لتشرف على عملية لتطبخ، وتهدد بنيامين بقول: «أناك مجنون؟ وهي سميرة تماماً بكل ماحظا» وأجابته:

«نجا بالفعل كذلك».

«أنا معجب بأمثالك، وأتعجب كيف يكون حال العالم بدونك».

وصمت بنيامين لحظة وحدث لبهاء المفاة وواصل بقول:

«أثبتت أنها الشخص العمل الذي خلق السعادة لي في يوم لن أنسا وأمل أن تطول أيام السعادة هذه بعد أن وجدت لمسي أسرة من جديد».

ورفع للموكل عن عبيه واصل يلوح به إلى الأمام وإلى الخلف وقال:

«هناك ظهين ماحول لوله، لقد دخلت حياتي، وأطلب اليك بأنطونيا أن تلي لاكثر غير ولكن كجزء لا ينفصلاً مني، أطلب اليك ألا تقطعي الصلة مرة أخرى بل أن تعزرجا. هناك تفاصيل كثيرة تحتاج إلى مناقشة، ولكنني أستجيب لكل متطلباتك إذا وافقت ولأنا الحق في كل شيء، وأود أن أوضح أنني لا أريد أن تخدمني لشبهة أي شخص ولا أن تكوني بديلة أنني أطلبك لشخصك أنت وأحس بأنني أعرفك من قبل وأحبك لن أحول أن أوتر عليك أو أقدم لك إعزاء لمسي على ثقة أن غيك كبيره، أسرة وارين، كم تقيت ألا يكون لي هذا الثراء حتى أكون أقرب اليك وأقنى ألا تتركيني».

«كان ينبغي أن الأمام في كرسية وأصحت بأنه كان يتطلع إليها في صبر وثبات وكانت تتوقع ذلك منه ولكن ليس مثل هذه السرعة. وكان عليها أن تتخذ

القرار كان اختياراً محدداً قس ناعية المال والمركز والجاه كلها ومن اشترتها ومن ناعية الاستقلال الشخصي لشعوره بأن ما تفكره جاء بعرقها وعملها... وتذكرت تقدير السيدة بلاك لما ولّتها من خلال عملها يمكن أن تصل إلى مركز مرموق... سكرتيرة شخصية مثلاً ورأي وظيفة أعلى وتذكرت الأغنية.

والذي هو اعظم من ذلك التي وصلت اليه بنسى؟

وواصل بنيامين يقول:

واتني لأنتظر جواباً الآن، فقط تفكري في الأمر.

وقالت وعيناه تفرورقان بالدموع:

«سوف أفعل إنه غرض كريم، وإنها حياته هي إلا الهبة، ولكن...»

ولا أحب أن أسعك تقنين ذلك.

ورفع يده ليقطع عليها الكلام ولأول مرة رأت الجانب الآخر من شخصيته.

رأته كرجل أعمال حاذق يحسن إدارة المواقف كما تحدث عنه غراي فورس.

رجل أعمال ممتاز وشاعر بالقطرة.

ولكن لماذا غراي فورس في تلك اللحظة بالذات؟ كان بنيامين لا يزال

ينظر إليها، ووضع يده على كتفها وقال:

«لا تشغلي بالك يا أنطونيا تفكري بالأمر ثم اعطيني رأيك، وسأرحب به.»

وتوافد الآخرون وأصبح الحديث عاماً وأحضر غراي آلة تسجيل وأدار

ميكروفون موارث للفصل لدى بنيامين، ثم اقترح إحدى اللبسات

المفضلة لديه كذلك وتبعها أحاديث عادية نجح غراي في أن يجعل بنيامين

حلالاً يمكنه بعض القصص المضحكة عن أسفاره إلى الأماكن البعيدة

واستمع بنيامين تماماً بالسهرة وعند الحادية عشرة نهض وأعلن أن موعد يومه

قد فات وشكر الجميع على مؤاساتهم له في عيد الميلاد.

وقالت السيدة وارمن:

«سوف أصعد أنا أيضاً وأترك الشباب يواصلون مرحهم على طريقتهم.»

وابتسمت في سعادة لرجل المعجور مع ثيابات ليلة سعيدة، وخرجوا سريعاً

يتحدثان حديثاً وديداً.

وحضر غراي إلى جوار أن على الأريكة وكان قد قضى معظم الأمسية

هناك. ولاحظت توبي من حين لأحراها يتحدثان ويتبادلان النظرات ورأته

يضم لأن وينحني تجاهها ويمد ساليه في استرجاع وحولت نظرها بعيداً بعدما

رأت كيف يمسك مع الفتاة التي يستطفها ويحبب بها.

وجدت دومينيك ليجلس على ذراع كرسي توبي ويقول:

«صدا تفعل الآن؟ تطلق في حفل صاخب؟»

وعبرت شفتيه في وجهه وقالت:

«لا... يائسكي! أمضينا عيد ميلاد فتوى أجده يستمر هكذا ولا نعلمه يتحول

إلى صخب! هل توافقني يا غراي؟»

وابتسم غراي قائلاً:

«فراغك تماماً... ولكن لنأخذ رأي أنطونيا فهي خبيرة شرفنا!»

وساد الغرفة غيرة من الصمت ثم هبكت أن وقالت:

«فري أن عزاجك يأخذ طابع السخرية يا غراي!»

وأصحت توبي أنه لم يكن يلمد مزاحاً على الإطلاق كانت كلماته إهانة

مقصودة. كان يريد أن يحصلها نفس بأنها غريبة. ولم تستطع أن تقول بصرفها

بعيداً لزاء نظره التي تتحدثها. وفار الفص في نفسها بشكل لم تحس به من

قبل في حياتها وأرادت أن تعبر الغرفة لتصفحه ولتنزع الابتسامة السخرة من

فمه... حتى تداعى خيالها...

وتحدثت. وحيل إليها خلال ذلك أنها تسبح صوت شخص آخر يقول:

«لو أن أقول، انه لا يمكن كثيراً أن ألقى الاحترام بوصفي ضيفة فرياً بكم أن

تعلموا أن عني بنيامين طيب إلى أن أقيم في قصر الطرق البيضاء كجزء

من أسرته وبالفطنة»

ولم تذكر توبي وقع تلك الكلمات على الموجودين... كل ما تذكرته أن أن

كبتها وكانت فرحة... وأن دومينيك على ملاحظته فكهة حول جعل للقول

القديم يزهر بالضياء مرة أخرى أما غراي فلم تعرف ما علق به اضطرابها إلى أن تفق بطريقة فيها شيء من الدراما والتعدي... لم يكن تعرف عن نفسها انهوّر ولكن ذلك الرجل استطاع أن يجبرها تخرج عن حدودها وأن تغلب عليها رأساً على عقب وحصلت على نصر صغير وأصت بالرهى لأنها سوف تفرس عليه وجودها هنا وألذت نفسها بأنها أصابته.

ولم يد عليه أي تأثير ظاهري بالغضب، ربهض وسر إلى «طاولته» وقال: «هذا... يحتاج إلى شراب... أن... دومينيك... لتترب معاً بغيب أطوبيا» وملاً الكؤوس، ورفع كأسه وهذا الآخرون حظوه. وقال: «في صحة الأناسة أنطونيا وارين وأسرة وارين» وعطفت أنطونيا قفلة.

«أشكركم. والأمر اقترح أن تشرب نخباً في صحة بنيامين وارين وأكرم رجل هرلته».

وشرب الجميع نخب بنيامين وارين. ووضعت فن كئسه وقالت في سرور كامل:

«حسنًا، جسم الموهوع، وراحتي لا تقدر بأطوبيا! انني على لغة أنك التخلت القرار الصحيح، إنه يعني الكثير للسيد وارين العجوز والجميل فعلاً أنا أصبحت جيراناً».

وايست توني في مودة إلى أن وحطرها - نوأن غراي قبل الزواج من تلك الفتاة فإنه يكون سعيد الحظ لأنها سوف تروعه وقالت: «أشكرك يا أن، وأحب أن يتلاني أصدقائي بأسم توني» وتدخل دومينيك يقول:

«لأن سأفعل يا توني... توني... نعم... انني أستلطف الاسم، إن له ولها... والآن فلن نألفي من الليل لا يزال طويلاً وما رأت ألح في أن نقيم حفلاً بمناسبة عرايكم؟»

ورجعت لن في تأكيد

طرحي من هذا يا غراي! فالتفتي أكثر بالناس... وتدخل دومينيك عن الفكرة على مضض، وقال: «حسنًا سيجعل الاحتفال إل يوم آخر، ولعلك توافقين يا توني» واقترب منها يقول:

«صرايحك لن تتناول العشاء معاً هذا الأسرع»

وقبل أن يجيبه تدخل غراي قائلاً:

«لا أستطيع تلبية هذه الدعوة».

وهز دومينيك رأسه ويرث ذلك في الحسد، وقال:

«لم أكن أعتدك بأصدقائي».

ويرزب العفوية بين الشابين بطريقة مكشوفة، وحشيت توني أن ينتهي يوم

عيد الميلاد بمثل تلك النخبة، فالتصت لدومينيك قائدة:

«أشكرك على دعوتي... وأغنى أن أقبها، ولكن هل لديك مانع في أن نجلسا بضعة أيام، فهناك أشياء كثيرة يجب أن نتم، وسوف يكون بوسعي أن أراك من وقت لآخر، أليس كذلك؟»

«هاتأكيد ستريتي! حسنا أنتصرف الآن يا أن».

وتفجع غراي بالهيب الأمامي لها وقالت: «نأ»

مساراك أصبح الحد لنا يا توني حوالي الحادية عشرة، ونحن إذا لم نستطيعي أن نحضري فالتفتي أفقر الظروف، وكوحننا نريب بعد المرح عبر الحديقة الخلفية وهناك نقال تتين من المجر على المدخل».

ووضعت قرايح الخنفيه في ذراع أخيها، وقالت: ليلة سعيدة عندما وصلنا إلى أسفل التخرج اختبأ في الظلام.

ورجعت توني على أمل أن ينصرف غراي كذلك ولم تكن راغبة في أن

تدخل أي صراع تلك الأمسية ولكنه كان يلف هناك ينظر إليها بقامته الدارغة

كان وسيا في يذئته الناقة وفي فيصه الكتلان الأبهى، وقال:

«جميل، جميل للغاية! لذا سريت كل شيء مع بنيامين بالفعل ولم تضيعي

وقد، انك انتهازية ماهرة يا سيد «ارين»

كانت الاضامة معتمة في الزدفة وكان وجهه في الظل لكنها كانت تتجلى
النظرة الساحرة في حاتين العينين المنقطتين، ولحسن حظها كان يثق على مسافة
منها، وردت للثقة.

«لا أعتقد أن لدى أي منا ما يلوته للآخر يا سيد «لورنس»

وحدثت أن لم تصعد المراج لكنه مد ذراعه بمد الطريق أمامها، وقال في
هذو:

«على العكس، لدينا أشياء كثيرة يلوها كل منا للآخر، وكما أوضح صديقتك
دومينيك فالوقت لا يزال مبكراً وأعتقد أنك لا تودين الصمود للزفة وحيدة
الآن»

وأصرحت صريحت للبيها وأصحت أنه رجل لا يطاق، ووضع يده الى مرفقها،
وقال:

«هتالي... أراك توافقه الى أن لمزلهي لربما تنجلس وتظهر بأن كلا منا يستغلف
الآخر، ولشرب شراب الرفاق»

ووجدت نفسها في غرفة المكعب للزفة القمية وهي لا تدري كيف وصلت
ودفعها دفعة خفيفة الى الأريكة الجلدية بالقرب من الثدأ وقال،
«أي شراب تفضلين؟ دهني أقدم لك الشراب الذي يفضله «ديامون» كخفلة
لحده الليلة»

«لا، أوجول لا شيء، بلزفة، شرقت ما فيه الكفاية»

ونظر اليها يقول:

«مازلت تشبهيني؟ أم تشين نفسك»

واعترضت أن تلك الملاحظة لا تستحق التصديق، وجلت متعصبة في القصد
صامتة.

ورضع كأساً على المنضدة قريباً منها وقال:

«لن نخفى هذا من رغبتك في للتشاجرة شيئاً أعملك بذلك، وإذا كنت مصممة

على التشجار فلتشاجر في هذو»

وأشعل مصباحاً لرمزياً وأطفأ الضوء الزنمي في الغرفة، وجلس الى جوارها ومدد
ساقيه وأخذ يتهجد في رضى وقال:

«هذا أسعد أوقات اليوم، في صحة مناسبة، والآن، أطلقني رصاصاتك»

كان يلهو كأنها سكة حول السلازة فبعد دقائق قليلة كانت غاضبة تكاد
تسلخه من القمصية والآن سبت تماماً وأحدثت رشقة من الشراب لتدغم
شجاعتها، وقالت:

«كنت سيافة أريد أن أقول أن، أنني أعترض تدخلك»

ولم تستطع أن تقول شيئاً أكثر من ذلك.

تدخل بينك وبين المحترم «دومينيك»، لاجل الاطلاق! كنت لظ أذكره كما
كنت تضك فيا بعد أنك ستكونين مشغولة للغاية في الأيام القليلة المقبلة»

«لكن الأمر لم يده لي هكذا»

«لا كيف هذا لك الآن»

«هذا كما لو كنت تغيلا بدرجة لا يمكن احتفاظا، وأحب أن تعرف يا سيد «لورنس»
أنني أختار أصدقائي بحرية كاملة، ولا أتوي أن أطلب نصيحتك حول من
يلج عليه اختياره»

وقال في نعومة:

«دانا أتق أنك لن تفعل ذلك، وأعترف أنني لم أر من قبل من هو في مثل
صلاتك ومثلك»

«ظن أنت ترى أنني صلبة وعزيمة الآن كما ترى كذلك اني انت...»

وأكمل لها الكلمة:

«انتهازية، ولكن ينبغي ألا تأخذني ذلك على أنه اعانة، فبعض اصدقائي
للخلفين ورملاء العمل يمدحون الانتهازية بل أقول انهم لم يكونوا لينجحوا
في العمل بدون قدر يسير من تلك الصفة... وقد يرى الجنس الآخر في هذه
الكلمة شيئاً لا يصل الى المديح»

وأصابع :

«أعترف بذلك .. وأعترف إذا كنت أخذتها مائناً آخر»
ونظرت إليه نظرة حدة وكراهية وقالت في حرص :
«لا تحاول أن تعثر .. فإنا لا نهم كثيراً برأيه في»
وسألها في رقة:

«حقاً يا أنطونيا»

وامتد ذراعه، وتراجعت على مقعدها، ولكنه أخذ كأسه للخط وأمسك بالكأس
بين يديه، وهبأت عيناه عندنا التفتنا مع عينيها عبر حافة الكأس وقال،
«ولكن ينبغي أن تعلمي أن المناورة كانت ماهرة للغاية في اختيار الوقت والظروف
المناسبة، ولا يمكنك أن تلوميني عندما أهدرها التهورية»
ورفعت رأسها وقالت في انتصاب :

«لن تفهم إطلاقاً أن درامي مختلف تماماً عما هو في رأسك، لكنني تصرفت
انطلاقاً من احترامني لشاعر الآخرين»

وتراجع إلى الخلف وعيناه نصف مغمضتين وقال
«تفهمين من»

«عالم بن ميم بصلة خاصة فهو يلح أن أكون معه ثم أمي التي لم تكن
حياتها سهلة وأريد أن أهدئها عما قدمته لي»
وتشدد بقول :

«أهداف خالصة... ليس فيها شيء من الأنانية»

«ولم ؟؟ هل غريب أن يكون بعض الناس غير أنانيين»
وعلق :

«بالنسبة إلى فإنا جميعاً أنانيين»

«هذه نظرة حيوانية ساخرة»

«نعم... وبما على ذلك أكون أنا شخصياً حيوانياً ساخراً... كما ينبغي أن نعترف
أنك اكتشفت ذلك الآن»

وقالت في انتصاب :

«اكتشفت ذلك»

وأدبرت رأسها يمينا وتهدل شعرها الذهبي على ظهرها. وتبع ذلك حسنت كان
يبدو يخطر وفكرت فيما يمكن أن يفعله لو أنها نهضت والجهت إلى الباب، ولكنها
أصمت بساقها لا تقربان على حثها. ولطم صوت غراي الصمت بقوله في رقة:
«فإنه قاتلة يا توني .. وتعرفين ذلك بالطبع»

وأدبرت رأسها وتوجست منه شيئاً لم تكن لتخطئه هذه المرة في عينيه وجف
حلقها واضطربت أنفاسها وحولت عينيها بعيداً عن عينيه الللتين ونظرت إلى
يده التي تستقر على الأريكة ورأت أصابعه على بعد بوصات قليلة من لسعها
الحري.

وفجأة انكشفت الوجهة التي يستقر وراءها وامتلأ وجهه بالفضب وتكسر
صوته بالانفعال قائلاً

«ما الذي جعلك تأتي إلى هنا؟» بالنسيطان لتعذيبها»

وتبدلا النظرات في البصر المعتم والمركت يده لتمتد تجاهها وانسلخت أصابعه
تدخل شعرها ونسالت ولم تعد تستقر على نفسها وانثرب منها. وعرفت بطريقه
غامضة أن هذا ما كان يصير إليه وعندما كانت مياه الفيضان الهبط بها من كل
مكان.

«كان وجهه شديد القرب منها ولم تكن في البصر المعتم ترى فيه أي عاطفة بل
لم تكن لتصدق أن لديه شيئاً من ذلك»

«وكانت واحدة تطفر على موجتي للذ والجو»

«وقد جرس الخاف من الغيرة، واعتدل رأسه إلى الخلف وسكنت ذراعاه وانتظر
أن يتوقف الجهاز عن الزئير، ولكنه استمر بدون توقف يتردد صوته في أرجاء
الغزل القديم المظلم، وأخيراً توقف الزئير، وأطلق غراي أنفاسه وقتم بشيء لم
تسمعه توني فقد بدأ الخاف يندى ثانية قبل أن يتم ما يتم به»

«وسمعت ما قلته غراي عند ذلك جيداً... كان يطلق الكلمات بطريقة

واعية، وهو يسير عبر الغرفة، وقال:

«نعم من؟»

ونظر إلى توني، وتمر كنفه، وأشار إليها بأن تبقى حيث هي. وقال للمرة الثانية:

«من؟ لا أستطيع أن أسمع.. الخط سيء...» أنه مارشا، هل هذا وقت محادثات؟ نعم. أعرف أنني قلت. ولكنني في الريف هنا. وكل شخص يذهب في الفراش في وقت مبكر، ماذا؟
وهكذا

«لا بالطبع، لم أكن كذلك...»

أدار ظهره إلى توني، فنهضت في حيرة وتسلت وتوقفت في المذبة لحظة. وقد جف فيها وأخذ قلبها يهتز في علق. ثم صعدت الدرج بسرعة إلى غرفتها كأنه الشيطان في الفراش.

ولم تحاول أن تأوي إلى الفراش للراحة طويلاً. بل جلست على حافة الفراش ترتعد من الداخل، وحاولت أن تتفهم نفسها باستمرارية أحداث ذلك اليوم الغريب، وسرعان ما أدركت أن عقلها لم يكن يعمل على الإطلاق بينما كانت انفعالاتها تعمل طوال الوقت. وكان غراي لورنس هو السبب... وأدركت رغم صعوبة خبرتها أن له جانباً جيداً كذلك. فهي لا تستطيع أنرا أن تلتزمها.

لم يجد فيها شيء مما لفت في أحاسيسها، كان يحب زوجته بصف وكانت هي خديعة القلب بهدج لدرجة جذبته إليها رغم مشيئته، وانضمت لها حقيقة المواقف، كان مولفاً صعباً. لا يهتم! ومع ذلك قبلت الاقتراح بنياحه بالاكلمة معه في البيت. وهكذا لن تستطيع أن تطعن رؤية غراي بما تعنيه من عزائي الخطأ

وتنهت في عرق، وتهبت فضل وجهها وتغلف لستهد سوف تنضج الأمور أكثر، لقد اتخذت قرارها الآن ولم يكن من اليسر أن ترجع عنه رغم أن

بيمين لم يعرف به بعد، وكان عليها أن تحبوه في أقرب فرصة، في صباح اليوم التالي إذ لا يلقى أن يسمح يفرطها عن غراي وليس عنها.

وخامت ملابسها وأرت إلى الفراش الوثير وظلوت حولها إلى الأبدت الفجر أن أية فتاة تكون بلها، لو أنب أصاحت فرصة أخيلة في بيت مثقف؛ إذ لا تسمع لآراء غراي لورنس. بأن تتدخل في قرارها؛ وعلى أي حال فعندما تنتهي عطلة عيد الميلاد عليه أن يكون في لندن معظم الوقت، وعندما يحضر سوف يعتاد وزينها في المكان، ولن يكون لوجه «الشبه بينها وبين ميج أي تأثير عليه عند، فأمامه بنات كثيرات. أن التي كانت كضحك وتعبت معه، كان من الواضح أنها يستلطفان بعضها إلى حد كبير، ثم هناك مارشا التي طلبته في وقت متأخر من الليل كما يدل أنها صديقة حميمة. ولكن من المؤكد أن هناك أخريات كثيرات يتجذبن بسحره، وعليها فقط أن تتذكر أنها ليست منهن، وعندما يحين الوقت ستجد من يحبها لذاته، أنطوية وارين... وليست «لبدل الشخص الخي .

٦ - المواجهة

يرغم أن توني كانت تفهم الموقف جيداً ويرغم الغرائز الوثيرة التي كانت ترد فيه قامت يوماً متقطعاً، واستيقظت وارتدت نهجاً مبكراً في الصباح التالي، ووجدت أمها تعد طعام الفطور.

«صباح الخير يا عزيزتي! حسب أنكم سهرتم الليلة الفائتة وستامور طويلاً هذا الصباح، وسحبت لشورلي وباتي بالناحية حتى الصشرة لأنها بدنا بهذا كبراً مساء الأسس. هل تاكوي يا توني؟ يمكننا تناول فطورنا في المطبخ وسامح لبيامهن فطوراً على صينية فهو يجب الا فطور مبكراً» كانت تترنر في سعادة وتتحرك في المطبخ الحديث كما اعتادته طوال حياتها، وواصلت:

«هن بطرسوان لالسيد لوريس يعني بنفسه في جناحه الخاص» وأخذت ثلاث بويضات من الثلاجة وشغلت توني بتنظيم الأطباق وأدوات الخائدة التي وضعها أمها، وقالت:

«أضيت لاجازة كمائق في نخل العلم فأنت لم ترحلي أبدا» وقالت السيدة ولارين وهي تقطع شرائح الخبز «أسي أحب ذلك! أحبه حقاً انه حلم أن أوجد في مطبخ كهذا بعد تلك السواب الطويلة»

ورفعت توني حامل التوست وهي تقول «ما تولد في أن تليعي هنا بصفة دائمة»

وحدثت السيدة ولارين فيها وقد تسمرت سكية قطع الخبز في الهواء وقالت: «أقيم هنا»

وكروتها في بلاءة

وأومأت توني للثقة

«طلب مني عسي بيلمين مساء الأسس أن نقيم معاً»

وبلعت أمها ريقها وقالت:

«وأنت ... قيلت»

وابتسمت توني وقالت:

«أليس شيئاً غريباً؟ أنا بكبريتي السبي الذي لا يعرفني! ولكنني وافقت أو على الأصح اشترطت أن توافقي يا أمي»

«إني إني»

ولما صحت السيدة ولارين في أحد كرسي المطبخ، وانهمرت باكياً، لم تر توني أمها تبكي من قبل، وأدركت بأن الفرح المفاجيء قد يلقي إلى صدمة تماماً كالفرح المفاجيء، وصحبت أمها عيشها حيناً وقالت: «هاسفة يا عزيزتي. كان ذلك أكثر مما أحمّل، وقد جاء فجأة، ظلمت أحلم والقي في أنه سيحدث...»

وابتسمت توني في حرارة، وقالت:

«صحت أكثر من الحلم والتمنى أعطيت الأحداث قطعة قوية عندما ذهبت إلى ولارين وسلمت ذلك الخطاب يوم أجريت المقابلة» وظهرت أمها في قلق تقول:

«هن تلوميني من جديد بسبب ذلك يا عزيزتي أردت لك حياة سعيدة يا توني» فأعرقه وفي أي حال كان علي أن أتحقق قراراتي بنفسي فقط يبدو لي كل شيء وكأنه قصة خيالية ألوم فيها بدور سنديلا»

وابتسمت السيدة ولارين، وودعت على شعر ابتها، وقالت:

«إنك أجل سنديلا، وسوف يأتي أمير الأحلام ليقول لك الشيء نفسه»

لم يكن ثمة فائدة من الجدل مع السيدة وارين وغيزت توني الموضوع
فائدة

«أريد أن أجهل السيد بنيامين يعرف نسي الخدب فراري هل مريم مانعاً لي
أن أكتب إليه ورقة أحضرها على مكتبة بطون»

وهنا كانت السيدة وارين تصنع التوست وتسلق البيض ذهبت توني
إلى غرفة المكتب لتبحث عن قلم وورق كانت الغرفة كما تركها ليلة الثانية
فيها آثار رائحة السيكار والكزوس لا تزال في أصكنتها، وامتنعت للمنظر خاصة
كيف صار حال المساند وأصلحتها ثم التفتت فوجدت ورق الكتابة على
المكتب، وكتبت:

«عسى العزيز بنيامين إذا كنت لا تزال ترمدي، فإني أجهلني هي معاً بالمحب
والعقل» أنطونيا

وبدلت الظروف بلسانها ثم أغلقت الباب، ونهضت، وسارت إلى الباب وهي
تلقى نظرة أخرى إلى الأريكة

وعند الساعة عشرة أخذت توني وجهها على المرآة لتتفحص في المرح
الطويل ومن خلال الفتحة المربعة العالية المصنوعة من خشب الزان في نهاية
ورأت الكوخ عند حافة الحديقة خلفه بكاه يمتلئ وسط أشجار الفاكهة. وعلى
واجهه مثل الشين الصغير وخرجت أن للقاتها تقول:

«أنا سعيدة للغاية بقدمك أعددت القهوة، أما حوميتك فذهب إلى الأسفل
وسيحاول الحضور لشرب القهوة معنا»

وعملت توني إلى غرفة الجلوس الصغيرة التي تبقي بخطر بعض الزهور
الربنية وتنتهج فيها نار الدفء، وأخذت فتجان القهوة ونظرت حولها نظرة إعجاب
وقالت:

«جميل ومريح للغاية»

وجلست أن على الجانب الآخر للمدفاة ترتدي تنورة من التويد وكثرة يوضد
صنعت بالطريق الهندي. وبدت رائحة ملاحها الزكية وعينها الواسعتين.

وخطر لتوني من جديد ما إذا كان بين ابن وغراي بورتس أية علاقة
عليس في أن ما يذكره جيج ولا ما يحضه يعانها بذلك المراد المكتوبه
يستطيع معها أن يبدأ من جديد إذا ما كان يفكر في الزواج من جديد
وضحكت آن وقالت:

«مريح جداً، تشعر أنه ضيق جداً في بعض الأحيان. ويشعر أخي السكين أنه
محاصر هنا ولكننا سنحسم أمورنا وأخيراً السيد وارين كان كرهاً جداً معاً فقد
امر بتوسيع المطبخ وجعله كاملاً إنه مطبخ فاحر أرجو أن تشاهده قبل أن
تصري والسيد وارين رجل رائع»
«تتفق عليه غلاماً»

قالت توني ذلك وهي تتذكر كيف عبر عن إبهائه للفراشة، كانت قد
صعدت إلى غرفته بناء على طلبه، ووجدته جالساً في السرير يردائه الأسوة المربى
بجديله ذهبية. ويشعر الأبيض ولحيته الأنيفة، ويبدو أكثر مهابة ولم يكن ربه
فوقه ليؤثرا على شعوره الطبيعي بالفرح والسرور فقد أخذ يندبها بين يديه
فقطاً

«إنني مسرور للغاية يا أنطونيا. ويسمي أن تتأكد أنك لن تندي على هذا
القرار»

كانت توني قد ذكرت له أن ابن معها لشرب معها القهوة واستأذنته في
زيارتها. وروت على وجهها قاتلاً:

«لم يبد أن يفعل كل ما يروق لك يا طفلي العزيزة. وعندما تنعبد بين الوضع
الجديد قد تجدني أن لك شيئاً خاصاً تهتمني به أو هواية خاصة تعبرين بها عن
مراعتك وإذا ذلك أرجو أن تقريسي لمسأكون في منتهى العناية لأوفر لك
ماتريدن»

وأضاف وهو يهضم:

«بطلنا أنك لا تطلين أتمن ماسة في الصالح»

وعلمت توني في جدية:

«أخترى أن تكون مصمماً على تدليتي فقد تعرفت أن أعمل من أجل نفسي كما تعلم».

وأجابها بنهايمين :

«إذا كنت تريد أن أكون مصمماً عليك مشكلكم. مارأيك في أن نتعلمي كل شيء عن العمل الذي تشتغل به؟»

كانت تعرف أن شركته وإيريس من أشهر شركات المجوهرات في بريطانيا وقد شاهدت نفسها معرض المجوهرات في بوند ستريت ولم تكن تصدق أنه معرض عليها العمل في مؤسسته، وقالت:

«نعمي أسي أستطيع أن أذهب إلى لندن؟ وأنتك سوف تجدني عملاً هناك».

وافترجت أسرار بنهايمين وقالت:

«أذكر أنك كنت تبحثين عن عمل».

«نعم.. ولكن ذلك كان شيئاً للتلذذ».

وبدأهم ولال

«لن تكوني لاسية أنطونيا بعد الآن عبدة للأكل الكاثبة، أنه ليسعدني أن تعزي كل شيء عن الأحجار الكريمة عن الأشكال وانتصامهم وكل شيء عن الحرفة التي تصنع أدوات الجمال. هل يتناسبك ذلك؟»

ولمعت عينا توبي وقالت:

«شيء لا يمكنه يصدق. إذا كنت تعتقد أني أفسد على تعلم ذلك».

«استطيعين أن تعلمي».

وبظرت توبي إلى أن ولالت:

«نعم. بنهايمين رجل عظيم انه طيب، كريم. كتخصصات يكاتب «ديكتر» التي تعيش لتجلب السعادة للآخرين».

وجلسا ان صامتة لحظة صمكت بعدها توبي في شيء من الاضطراب وقالت:

«اتصال هل من الخير أن يحصل الاتصال على كل مايتناه».

وعلمت أن بنهايمين:

«هذه نقطة لا تحتل للثالث إذا ما كانت الفرصة لأي اسان... ولكن بعض الناس تقدمهم النعمة بينا آخرون لا يتغيرون معها جاءهم الفنى والثراء، هناك صقل من الناس الفاعرون الذين يعطون وانضفاه الذين يأخذون، والقادر شخص غير أناني أما الضعيف الذي يأخذ فقد لا يشبع أبداً فكلها أعطته طالب بالزبد».

فواصلت تقول

«أخترى أن أكون أتمسك لو كان غراي موجوداً لفضب مني، فهو يتهمني بأنني أخذ كل شيء. فأخذ الجهد... يا لغراي المسكين».

وأحدثت توبي ترشفت فحولها في سميت كل شخص يهدي الاشفاق على غراي. ويخلص له الأعداء ماعداه لم تكن تروى أنه يستحق أي إشفاق ولم يكن له حظ لها يديه نحوها من كراهية.

وقالت آن :

«لا تجعل غراي يحكر عليك صفوك انه يصبح شخصاً غير محتمل اذا أراد ذلك. وأخبرت أنه كان يتعهد مطايتك «الطقة الماضية».

«أنه يكرهني لأنني شبيهة زوجته».

وحولت أن تخطف من ولح العيلة الكتيبة فكانت:

«إنك ملاحظين شعوره عندما يراني في المنزل لابد أنه كان يحب زوجته كثيراً».

«كنت أن تنظر إليها في استغراب».

«اعتقد أنه كان يحبها بالفعل».

والحدث أن عن القرية المجاورة وعن سوق المدينة الصغير هل بعد خمسة أميال حيث تشتري ما يلزمها وحيث تقع المدرسة التي تعمل بها.

وقالت توبي :

«بدأت أحس كأنني في ميسي فلقد نشأت في قرية وعقدت أن سائر القرى تشابه، وسأجد ما يشغلني».

ولم تكذ تقول ذلك حتى سارورها الشك فيا قالت: كان حياتها حتى الآن هدف يسعى الى تحقيقه، فالأمنوعات الموصية والتدريب على أعمال السكرتارية وفي بعد عيش في لندن الذي كان من الممكن أن يوصلها الى وظيفة أكثر مسؤولية؟ فهل يكفي الآن أن تعيش في فراغ؟ كان يوسعها أن تشارك أمها بعض الأعمال ولكن من الصعب أن تتنازل أمها عن مسؤوليتها في إدارة المنزل وكان هناك عرض بياضين بأن تتعلم ما يرتبط بتجارة المنسج ولكنها لم تكن تستطيع أن تتركس حياتها كلها لهذا العمل.

ونظرت الى الساعة الموضوعة على رف المدفأة وقالت:

«لا بد أن أنصرف الآن والآن تأخرت على الغداء»

وعلمت أن:

صوف يشعر دومينيك بالأسف إذا لم يركب.

ونظرت من النافذة وقالت:

«هل لاحظت أن المطر بدأ يهطل من جديد؟ هل أحضرت معك شيئاً يقيك المطر؟»

حسناً، حظي معطفي فني أحناج «به وسوف يحضر» دومينيك لها بعضه

ورجعت ومعها معطف أحمر له غطاء واق للزأس ليستة توسي شاكرا

عنايتها بها

ولاحظت أنها تلبس صندوقاً لا يناسب المطر ففالت:

«انتظري قليلاً، أحضر لك هذا المطر من الطبخ» انه غير انيق لكنه يفيد جداً

في هذه الظروف»

وأحكمت بوبي أزرار المعطف، ولبت غطاء الرأس وظهرت في الممرقة

الموضوعة فوق خزانة في ركن من الغرفة وسعت أن تبحث في مخزن خلف

الكروخ فقالت:

«لا تشغلي نفسك إذا كنت لا تجد»

وانفتح باب الكروخ التي يقود الى غرفة الجليس مباشرة في تلك اللحظة

وقبل أن تستدير توتي لتستطلع الأمر وجدت نفسها تقع في حلق من الخلف

بين ذراعين صليتين وسعت صوت رجل يقول:

«عزيزتي كتب أعد الدفاتق لأخرج وكنت أحتس ألا أستطيع»

كانت لحيته طيبة عاشق نقد صبره، ووقعت في حيرة من أمرها. ذهب

دومينيك الى أهد ما يحتمل ولا بد أن تقول له ذلك.

واستلزلت بين الذراعين اللتين تمسكان بها ورأت لها متعطشاً على مسافة

قريبة يقرب منها. ولكنه تقهقر الى الخلف وسقطت الذراعان اللتان تمسكان بها

ووجدت نفسها تحديق في شخص غريب تماماً، رجل أشقر البشرة والشعر له وجه

تحمل يدل على أنه شخص منطلي.

والنفقت توتي ووجدت أن قلب عند الباب ويهدأ هذا المطر واتسعت

هناك في دفعة له شهدت حل الأكل جزءاً مما كان يحدث، وتبادلت مع الرجل

الأشقر نظرة تمل على حيلة الأمل، وقال

«هل كان يوسي أن افعل لوجد النسي لها المعطف وغطاء الرأس لأحمر

نفسها»

ونظر الى توتي، وأخلفه

وأقدم اعتذاره»

والله هو النافذة ووقف مدبراً، ظهر لها ووضع يده في جيبيه أثلت أن

بالهداء وانحنت مسؤولية المؤلف والتهبت الى الرجل الودلف عند النافذة،

ووضعت يدها على ذراعه وقالت:

«توتي، هذا كيث هيسلي معلم الفنون في مدرستي، وهذا توتي، ابنة أخ

السيد ولدين يا كيث حشنتك عنها من قبل»

وصالح كيث توتي، وهو كتفيه قائلاً

«سيت لك في المرح يا توتي. خرجت عن شعوري... إنها غلطني بالطبع»

وألقى بنفسه في كبة على كرسي قرب المدفأة، وقالت أن في هدوء:

«لا تمزع يا كيث ان توتي واحدة منا»

والنفقت الى توتي وقد اختلزلت كليتها بهناية

«إذا طلبت الهلاك ألا تذكرني شيئاً على الإطلاق لأي شخص عما وقع وعين
رؤيتك كيت هنا فهل توافقين؟»
«بالطبع... بدون أن تطلبني إلى ذلك»
«ارتفع رأس كيت يقول:
«لا أكاد أصدق»»

ولمست تومي حذاء المطر وقالت:
«أشكرك على القهوة يا... وعلى المصطف والمخاض لا تتكلمي مشكلة صحيحة
إلى الباب»

وابتسمت لها وبدأت تخوض في ماء المطر خارج الكوخ. لم تكن لديها أي
فكرة عن العلاقة بين أن وكيت هل تأكدت أن العلاقة بين أن وغراي لا
تريد من كونها صداقة وارتاح إلى ذلك الخطر فإن من وجهة نظرها لطيفة جداً
ولا يستحقها غراي.

وهزلت تصعد الدرجات لليلة المؤدية إلى منزل وهي تشعر بالارتياح غال
ببما هي وهو يدفع بطيئة السكوتر الذهبية الخاصة به إلى غراي .
«ها أنت جميعاً هنا من المناسب أن تضع حظه الأيام القليلة المقبلة»

كان الأربعة قد انتهوا من تناول الفساء وحضر غراي من جناحه
ليشاركهم دعوة من بيمامين ، وقالت السيدة ولويس لغوي
«عندما ذهبت لدعوته، كنت عن وشك أن أفتح عليه من علب الطعام المعفولة لا
أستطيع أن ألقم هذا بصر على أن يهني بفرقه»

وبدأ أن تومي كانت تعوم لماذا؟ كانت تعتقد أنه يتفادى رؤيتها بعد ما
حدث الليلة السابقة. ولكنها ابتسمت وقالت:
«ربما كان لديه عمل يريد أنجاز»

وأستد غراي ظهره إلى الكرسي حيث يجلس وهو يعيش بالسيكر بين
أصابعه، وقال:

«أعزيم العودة إلى لندن في وقت مبكر من صباح الغد»

ودعني بيمامين . وقال
«ما الذي يدعوك هذه العجولة؟ وللمصنع مغلق»
وهز غراي رأسه يقول

«سيكون جو هناك إنه حريص على أن يخرج المطلوب ما لمعز كاريين
لاين، إنك تعرف مدى حرص جو عن اتفاق العمل. ، ويكره أن يهد نفسه في
حسين من الوقت، ويعني أن أكون موجوداً لانجاز بعض الأعمال وقد وعدت
كذلك أن أتلل مارشا غداً بخصوص مجموعة باريس وقد اتصلت بي الليلة
الماضية»

وأولماً بيمامين قائلاً:
«ربما تكون على صواب، ولكن بالنسبة إلى غراي أوتر الكسل بقية الأسبوع
لاستمتع بقن الطهو الذي تقدمه صديقتي مارغريتا»
وأثارت اهتمامه نحو السيدة وارين التي بدلت الاهتمام في سعادة
كاملة، وقال بيمامين:

«لن أفسدني هنا ثلاثة، وتبقى كذلك مشكلة الشقة في هورسي»

وألقت إلى أنطونيا يقول:

«أعتقد أن أفضل شيء بأنطونيا قد كنت توافقين أن تسافري مع غراي إلى
لندن غداً، وبوسعك أن يوصلك إلى الشقة، وتستطيعين أن تعطي الترتيبات مع
صاحبة المسكن، ونحزمي أغراضكم ما رأيك في هذه الفكرة؟»

ونظرت تومي إلى أمها، وقالت السيدة وارين بسرعة:

«إنك لا تحتاجيني يا عزيزتي! سيكون بوسعك أن تتفقي مع أحد المحايين
ليحضر كل شيء إلى هنا، وليس عندنا أثاث كثيراً فهناك آلة التطيير والـ
الحياطة وحاجياتنا الشخصية وستكون السيدة ثلاث مسرورة عندما تعطينها

محتويات خزانة الطعام»

وأخلف بيمامين

«وسيكون غراي قريباً منك إذا ما احتجت إلى أية مساعدة»

وابتسم لكلبيها وقال:

«أطفئنا!»

وقالت توني:

«نعم.»

واقف غراي كأنه تفكر أمراً لا يسهل قتلاً

«كها توي يا سيدي.»

لم يكن غراي يحترض على أي رغبة لجنابين، وخطر لتوي أن كلبيها واقع في فخ سوف يكون عليها أن يسافرا معا سواء أراد أم لم يريدوا ولم يكن أمامها من سبيل آخر

وتحرك غراي في كوسبه إلى الخلف قليلاً

«أفترض أن نتحرك في الصباح الباكر هل تناسبك انشطة صليحة»

وأجاب توني:

«مناسبة لتمام»

كان غراي أن يجلس التناز على سائدة الطعام بدون أن تتقابل عينها بطريق عابثة، ولم يكن أحد معها ينظر إلى الآخر الآن.

وتنظر غراي وقال:

«ربما نسمعون لي فلفدي بعض الرسائل أريد أكلها.»

وقال له بنجامين:

«ولكنك ستتمشى معنا هذا المساء»

«أشكركم» ولكنني مدعو لذي أسرة يتروون ولم أستطع الاعتذار لكنني سأفرا
ليل أن أرحل في الصباح يا سيدي.»

والعنى بالتعبية وخرج

وتنهض بنجامين وقال

«كأن له ولد...» مبدج أصدقاء كثيرين في المنطقة، وغراي مطلوب دائماً برغم أنه ضيق وقته للمعاملات الاجتماعية، وعبد العمل كثير عليه.

والفت إلى السيدة وارين بالمتسامة وقال:

«صرتي لكما لقاء مع الناس الطيبين الذين يعيشون هنا وري أفتت حلاً صغيراً في إحدى الأصيات عندما تعود إذا من المستشفى وتشتك عملها إنني أفتي تقديم أمرني الجديدة لأصدقائنا»

وعظمت السيدة وارين:

«أشكرك يا بنجامين... سيكون هذا شيئاً سعيداً»

كانت أمية هائلة لم يخرج فيها غراي من جيبه وتركت توي أمها تستريح بعد الضاء. بينما ذهبت لتستطبخ المطبخ بمعداته الحديثة وأدواته الكهربائية كان يحوي كل شيء يدخل المرور على قلب الطاهي الشغوف بعمله وبسير العمل في الطهو حلاطات، عصارات، مناخل طواحين للمكسرات وليس ماكينات لتشيع الحضر كان حليماً بالمعدات التي جعلت رأس توي يدور ولكنه كان بالضبط ما نوهوا بها بزعنها المنعقدة من الأشياء لعملية

وجلس الثلاثة فيما بعد في وقت متأخر من المساء لترب الشاي حول المدفأة في غرفة المكتب ثم ذهبت السيدة وارين لتعد وجبة المساء كان بنجامين يتحين هذه الفرصة ليتحدث إلى توي حول المواد الخام التي تستخدم في صناعة الأحجار الكريمة، وقال:

«أنتي أعني الأحجار الكريمة وهل جملها ومغروسها يسحرني منذ الطفولة، فاماً كما سحراخي، جيك ترع أحر من أرجال كان يظن أن عملنا ليس سوى عمل قماري ولذلك رفض المشاركة فيه كان رومانتيك حليماً، أما بالنسبة إلى قوتني أجد الجمال والتأثيرية في صناعة أشياء جميلة من الصخور والمعادن التي قد تبدو لأول وهلة في صورة لا توحى بالجمال وهي التي أنتجها باطن الأرض خلال ملايين السنين»

وتحدث عن الياقوت والزمرد والأوبال وعن أحجار أخرى لم تسمع بها توي من قبل، وعن الأماكن النائية من العالم حيث توجد تلك الأحجار، وقص عليها السلسلة الطويلة من العمليات التي تؤدي في النهاية إلى الحمية للمنتجة الثوبس

الفاخر أو الخاتم أو العقد وعن احتياض الصخور بواسطة الحبراء الذين يعتمد معاشهم على خبرتهم في إصدار الأحكام وعلى قدرتهم على فرز الأحجار وتصنيفها حتى يصل الحجر الكريم في النهاية إلى مهارة القاطع وقدرته على التشكيل، وقال

هو عندئذ لسركين الصناعات التي ير بها كل حجر ليعين في طريقه ليصبح الحجر المتكامل، الاملاص الذي تربته في قطعة المجوهرات، وعندما تأخذين في الاعتناء بالجهد الشخصي الذي يعطى له بواسطة رجال كرسوا حياتهم للسيطرة على للمهارة اللازمة للتصوير والتشكيل، يمكنك أن تقديري أن مجوهرات الدرجة الأولى ليست خالية الثمن كما يتصور البعض.

وحدثت تومي تروب وهج الكتلة الخشبية وتصفي بالعام بالغ إلى حديث بنيامين الذي استولى على مشاعره، وأحست بأنها تنتمي في شكل ما إلى المؤتمرات الشيرة التي تحدث عنها بنيامين وهو يقول،

مولكن تاج الأحجار الكريمة من وجهة نظري هو الماس. إنك لا تتخيلين مدى السحر الذي فيه تلك الحصى الصغيرة التي وطأتها أقدام البشر قروناً قبل أن يعرف الإنسان قدر الجواهر الذي يحبس فيه. ولعل أن يعلم كيف ينظمها ويصقلها. إن جمال الماسة يا أنظورها في الدر التي بداخلها كما يجلو لنا أن نطلق عليها ذلك الوميض المتلألئ الذي يبدو كفوس قرح عندما يتعكس عليها الضوء أن مصدر العجب الدائم في أن حجراً خاماً يمكن أن يحصل مثل هذا الشيء الباهر في داخله بانتظار أن يكشف عنه انسان، تعالى وانظري إلى عددته وضع أحد الأذراج وهيض رراً كشف عن مكاني صغير مستقل وقال

مخابني السرية أكثر أمناً من الخزانة التي نملأ عن نفسها. وأخرج حيلة صغيرة وفتحني لتكشف عن حصاة صغيرة قبل أن البياض يظلمها غشاء رقيق وقال،

مهل سمعته عن الماس الخام

وأتسم ووضع الحصة في يد تومي، وواصل.

هذه هي

وأدرك الحصة بين السبابة والإبهام في رقة وفي نقطة منها كان نقشاء الرقيق قد تأكل، وأخذت هذه النقطة نلصص كأنما الضؤ حبيس داخل الحجر وقال بنيامين:

بعدة لثانية من مروح محذر وتكاد يكون ثقبة غامب المشرقتها مد راس بعيد كهديفة تحفديتي في عيد ميلاد طبعها الأول وكنت أحدث نفسي انه سيكون لي حبيب عظيم أو حبيبة تحمل مسؤولية الحفاظ على المهارة الأسرة يوماً ما. ولكن لم ينحس.

وتنهت في عقل وقال

موتكدا هل هنا منذ ذلك الوقت ينتظر أن يخرج عن جماله، وقد نقول أني رجل عجوز خيال...
وهزت تومي رأسها إذ تأكرب بنفسه وهو بعيد الماسة باعراز إلى غلبها.

وواصل يقول

أحياناً أذكر في ملايبي السبب التي عذاب الطبيعة عبيد منها في لصخور لتعطيا في النهاية حجراً كرها مثل هذا...
ومضى في تأمله.

بالاستمرار الطريقة التي نطوي بها الحياة، لعمد نفسها باستمرار ويحدث الشيء نفسه في الأسرة، ويمكن للإنسان أن يتخيل كل تلك الدهور من الزمن، والتخيل متعة الماس الذي يصنعه الانسان لا يمكن أن يصل إلى مرتبة تجعل منه بدلاً منها كان جيلاً.

وصافته تومي:

مولكتك لا تستطيع أن تصنع ماساً، أقصد ماساً طبعياً.

من الممكن عمل عيناك صغيرة، نعم، وتصنع بالطريقة نفسها التي تصنعها بها الطبيعة من الكربون التي مع الاسراع بالعملية صيرون مرة ومع ذلك فهالك عليه تناف في طريق صنع الماس من أي حجم، وهذه العقبة هي الحرارة الشديدة

الطوبى والصفوة. هل أشكره الحديث يا أنطونيا؟

«لا، على الإطلاق، أوجده أن تستمر»

وأوما وقد شعر بالرضى، وقال

«كنت سأحدثك عن الماس الصناعي الذي يعتبر تقييداً للطبيعة، فقد جمع الكيميائيون في صمغ أحجار صناعية تشبه الماس الطبيعي في صلابة بل ونريد عليه أحياناً في المصانع وفي الدور وهي تشابه إلى حد ما تلك المواد الحديثة التي تستخدم في صنع الثياب هذه الأيام كالصوف الذي لم يعرف القدم والحريير الذي أنتجته موزل آلية ضخمة ولم يعرف ذرة الفلز»

وضحك وضحكت توبي معه ولد راد تقديره للرجل العجوز وعرف بعض الشيء عن صناعة الماس التي توارثتها الأسرة عبر تلك السنين

ومضى بنيامين يقول:

«إن بعض الناس سعداء فعلاً بتلك المستحدثات، بل لا يمكن نفيها أحياناً نتيجة للاستهلاك الكبير للمنتجات الطبيعية، ولكن لا يوجد بديل للماس الحقيقي»

واستمرت توبي

«وهل تستخدم وارينز الماس الصناعي؟»

«نعم بنيامين رأسه في اهتمامه شتلة»

«إننا في وارينز ملتزم بتقاليد خاصة لأننا نرى صور على سمعتنا في التعامل بما هو أصل وناز، والنزوة من العوامل التي تكسب الماس قيمته، والواقع أن أمور الماس تخضع للكثير من القيود والوارد منه ليس رخيصاً وأحياناً تقوم بعمل مسخ من بعض القطع لصلاتها»

وتنهت قاتلاً

«ليس تفكيراً ناصحاً أن يخطئ الناس الماس الأصلي في خزائن البنوك لدواعي الأمن ويكتفون بالناس التقليدي»

وجلس عند ذاك في كرسيه الجلدي الوثير صامتاً وهو الرقد يتراجع متعكساً

على السحرة والمنظار المنحت في شريط والمحمية البيضاء الأنيقة، وتعبت توبي من جديد كيف أصبح هذا الرجل الذي عرفته منذ أسابيع قليلة فقط بشعر

بحرها كأنها فرد من أسرته، ومالت عليه في أعمال تقوى

وأشكره كثيراً إذ أعطيتني هذه المعلومات»

صاكون في منتهى السعادة لوتوفر لديك الاهتمام لتفومي بأي دور نشيط في إدارة عملك»

«أوه لا أعتقد أنني صاكون على هذا المستوى في أي...»

ورجع وقد ليستها من أكمال الكلام وقال:

«إن لديك الدكاء باهيزتي وأماكك فصح من الوقت لتتعلمي وسوف أعلمك كل ما أستطيع، وسوف يعمل غراي كذلك على أن تكون مساعدتك لنا مفيدة بكل السبل»

وبدا على توبي بعض التشكك، ولكن بنيامين هز رأسه وقال بطريقة مهينة

«عالم غراي أن يبرز الأصالة حيثما يهداه»

«كل ذلك اطراء من بنيامين لما شكرته عليه ولكن لم يكن لديك علاقة بالتهللات غراي نحوها سواء الآن أو في المستقبل، كان لثقل بينها وبين غراي يشبه إلى حد ما الماسة الصناعية التي تحدث عنها بنيامين، هكذا ظنت وهي تنقسم في قرارة نفسها»

«كنت الساحة قد تجاوزت الحادية عشرة في تلك الأسية عندما جاء قوميتك ليأخذ معطفك إن، وكان بنيامين قد صعد إلى الفراش منذ فترة بعد أن أخلق الباب الكبير وقال

«إن غراي معه مفتاح لباب الجاني، اسعدت مساء باهيزتي، ورحلة سائلة صباح انفس سوف يظن غراي أن الأمور تسير على ما يرام بالنسبة إليك»

«لماذا وهو يتهم اهتمامه المحبة وصعدت أمها كذلك وجلست توبي على

الأريكة المغطاة بالفرش المظني المزخرف الى جوار نار المدفأة الدافئة في الردهة
استغرق لي كتاب أعطاها إياه بيلامين عن تجربة الأحجار الكريمة. وكانت قد
أنتجت في الموضوع بدرجة جعلتها تنافس عندما سمعت تقرأ على الباب وصاحت:
«من الطريق؟»

وجاءت الاجابة من الخارج:

«أنا... دومينيك»

وترددت لحظة ثم فتحت الباب. وقال

«صباحي يا عزيزتي... آسف لمجيئي متأخراً، كنت في احتفال... لست
الفلاحين كما تعرفين...»

ولظرت توتي إليه في شك وحشيت أن يصيبها ضرر منه وخاصة إذا لم يكن
صاحباً ولصفت حرصاً على أمنها أن تعمله في برود وقالت:

«مما تريد يا دومينيك؟»

وبدت عليه الحيرة لم يتسم وقال

«سأطلب أن... طلبت مني أن أحضره»

واختلست النظر الى الردهة، وقال

«أين الباقون؟»

«نهرباً... إنظر دليلاً... سأحضر لك المعطف»

لم تكن تستطيع الخلاص الباب في وجهه. وعادت مسرعة معها للمعطف والحقاء
ووجدت دومينيك يلف الى جوار المدفأة يدهلك يديه معاً. وكان قد أغلق
الباب الخارجى. وقال:

«الجو شديد البرودة في المخرج ولفي... هنا في الداخل»

ومدت يدها إليه بالمعطف قائلة:

«أشكر لي أن، وقال لها انتي أسلة إذ سميت، كان يوسعي أن أعيدتها في وقت باكر
بنفسى»

ولوح بأصابعه اتجاهها قائلاً:

«لا ينبغي ألا أقبل الرياضة. فلما حضرت بنفسى، لكي يجد لظفر المعجب فرصة
للافتقار بوليفته كما فكرت»

وصحت توتي فقد كان يحالة سيئة، ولكن صحتها أتاح له الفرصة ليتجرباً
أكثر من اللازم، وقال:

«تعرفين عن أن السكينة وقصة حبها، انها قصة محزنة، فالتأنيب الذي يجيها
يعمل في مدرستها ويجعل بعضها يجنون وللرجل روعة آسف يا حبيبتي»
ولفت توتي في عجل:

«أنظر يا دومينيك! ينبغي ألا تتحدث عن أن هكذا، وعد الى البيت الآن
فالوقت متأخر»

«لا... ليس متأخراً... لتجلسي وتسامري»

وقبل أن تدرك بهته أحد ممصبتها وجلبها الى الأريكة بجانبه، وحاولت أن
تنهض، ولكنه أمسك بذراعها بالحكم وقال:

«لا تلهي يا حبيبتي انتظري لحظة... ونحسني الى... انت غايبة في الجمال في هذا
الفسنل الأزرق، لا تنطاهي أنا لست وأتصرف بلالة كاملة... هذا وعد...»

أريد أن أخبر أي شخص بالمهر السعيد»

وفكرت أنه من الأفضل أن تصبر عليه ولحسن الحظ ترك الحديث عن أن
وسألت:

«أي خبر سعيد تعني؟»

«استرااليا صديقي ذهب إليها في الأسبوع المقبل وعد، ما كان تحتفل به، وطلب
إلي أن ألقن به بعد فترة، انها فرصة كبيرة بعد أن أطمئن على أن وعند ذلك
أسافر»

«حساً، سوف نخبري بتفاصيلات ذلك فيما بعد فالوقت متأخر الآن»

ولكن دومينيك كان مصراً على الكلام، وقال لتصل ساعة يمكن من
أستراليا وعن مررعه الماشية التي تقع على مسافة ميل من أقرب مدينة، وعن
المسكن وما حوله من أرض واكتراء الذي يمكن تحقيقه والطرق الجديدة التي

بجوارها ثم قال:

«من السهل أن تشتري بيتاً خاصاً وسيارة أنت بلد محبي يلائم تربية الأطفال كذلك.»

وأعلنت ساعة الحائط منتصف الليل، ووثبت توني وقالت:

«هالده! لم أكن أعرف أن الوقت تأخر إلى هذا الحد، ينبغي أن تتصرف يا دومينيك، هيا انهض!»

ومدت يدها لتساعده على أن ينهض من الأريكة المظلمة ولكن عندما وقف لم يتركها وأمسك يديها بإحكام ونظر في وجهها قائلاً:

«هالده يا توني جميلة وعاطفية ورائعة، وكل ما يمتد له المره فبذلك ما رأيك في أن نذهب سوياً إلى تلك الأراضى الغنية؟ المره يحتاج هناك إلى روية وسوف سعد سوياً وأجد فرصة للعمل، إنكى أعني ما أقول.»

«أنا وأهلك من كلامك يا دومينيك.»

«دعك تلبين الفراحي.»

«سوف أفكر...»

«هالده حبيب... أعطني ليلة بمناسبة عيد الميلاد.»

«وجدتها إليه في رلة، وقال:

«هذه.»

وحاول أن يقرب وجهه ثانية ولكنها لم تصد عنه قائلة:

«لا يا دومينيك يكللي.»

وصارحت لتجذب نفسها منه وهو يحاول أن يمسك بها ويصمك وكأنها في من المراهقة وكانا يتجاذبان ويتدافعان عندما دخل غراي إلى الغرفة من مكانها ودلف برغبها، وقال في انقباض:

«أسف إذ أقصد المرح ولكن الوقت قد حان لبعض هذا الاحتفال إذا كنا سنخرج في الصباح الباكر خذاً يا أطوبيا.»

كلى دومينيك قد ترك ذراعيه يسقطان عندما سمع صوت غراي ووقف

الآن يقرب ما يحدث في شيء من القهقري وعندما ألقى من النعشة أحس برغبة في أن يؤكد قائده فقال:

«ما شأنك وهذا؟ نحن لنا حاجة إلى أن نطلب منك الاق بالسيارة»

ونظر في تحد إلى الوجه الصلب الذي يواجهه، ونظر إليه غراي في احتقار قائلاً:

«الأكهبل لك أن تتصرف وإلا ألقيت بك خارجاً.»

وتكررت قهقرياً دومينيك وثكنته لم يكن ليثير شجاراً هكذا تصورت توني. وكان دومينيك يتنفس بصوت مسرع ولد إصر وجهه وبدأ شعره أشعث على جبهته، ووقف في غير أكرات وبداء في جهره وبدأ شيء من التهديد يقرن بذلك الصوت، وأصت توني بأخوف يسري في عروقها وخضت إلى الأمام تقول:

«الوقت متأخر يا دومينيك وسوف تطلق عليك ان، أشكركم لذلك نصحت على أخبار أستراليا، وأرى أن تذهب الآن، خذ المعطف، ها هواء أسعدت مسك يا دومينيك.»

ورده قائلاً:

«سقطنا مسك.»

وخرج وأغلق الباب خلفه في تطاهر بالاشجاعة.

والجهد توني إلى الأريكة وهي تغلي من الغضب أزيد ما حدث، والتفتت كتبها والجهت إلى الدرج ثم تكن تنوي أن تحتك بغراي في حالته الانفعالية الراحة ولد أصت بأن معه جانباً من الحق.

وجدها صوته من الخلف يقول:

«لهم يكن صاحباً لعلك تعرفين ذلك.»

والتفتت وقد أصت بأنه يحاول أن يبرر سلوكه وهو ما لم تعهده فيه من قبل لتقول في يروء:

«أأنت تبلغ؟ ربما النهب قليلاً مع شباب الفلاحين وليس ذلك سبباً يسمح لك

بأن تهدد بالفراق في الخارج.

واقترب منها يقول:

«لم أكن أهدده لذلك ولكن لأني كان بمسك بك بين ذراعيه».

وعرفت أنه من الأفضل ألا تدخل معه في جدل ومع ذلك سمعت صوتها

يقول

«أرجو ألا تتخيل أنك وصي علي في هذا الشأن، أستطيع أن أعني بطي جيداً ولم

أكن لي خطر مع دومينيك فهو شاب لطيف، أصيل، صريح ورائع.»

«حطاً شيء مثيرة»

واقترب منها يقول:

«حسناً. إذا كنت لا تعترضين على توزيع ممتلكاتي في الأعياد فربما يكون لي أنا

أيضاً نصيب، ولكن أطولك فأنا لست رقيقاً مثل صديقك دومينيك ولست

لطيفاً بأي حال.»

واحتوى ذراعه خصره وهو يقول

«هل تريدني أن تعطيني احتجاجك؟»

كانت في قرارة نفسها تريد أن تدفع به بعيداً وأحست بأن أطرافها خففت

المدومة ورفعت رأسها وتذبذبت عياني في نظرة طويلة صامتة في عتمة الزمجة

الكبيرة، وأحست بهجة اثر موجة من الهجة تنبض فيها ووجدت نفسها تترجح

وعادتها التعطل من مكان ما خارج نفسها، وأدبرت رأسها بعيداً وتصلبت وقالت:

«لا، لن أقبل أن أكون مجردة. مجردة بدنية. انه شيء مهين وحزين»

وتجمعت فيها مشاعر الدفاع عن الذات، وتهدلت ذراعاه إلى جانبه وقال

«بالنسبة لي هم تتحدثين»

وأجابته وهي تتراجع بعيداً عنه:

«إنك تعرف جيداً ما أعحدث عنه، إنك تريدني لأتني شبيهة بروحك ولأنك

تستطيع أن تقنع نفسك بأنك ما زلت تهمها بين ذراعيك. كنت تحبها للزوجة

كبيرة، وتريدني أن أشغل مكانها وتكرهني طوال الوقت لأنني لست هي.»

وتنظرت إلى وجهه وعندما رأت ملامحه حانها قهها صجاة وقال في هدوء كامل

«هل هذا هو ما تظنونه»

«لقد جعلته واضحاً تماماً. انني أسفة إذا كنت قد واجهتك بالحقيقة ولكن كان

لا بد أن أقولها»

كان لا يزال ينظر إليها في دهشة كاملة، وخطر لها أنها أتته من مكنته، وكان

من حقها أن تزهر بالانتصار، ولكنها بدلاً من ذلك أحست بأنها صغيرة وبأنها

مذبذبة، وقالت من جديد:

«أسفة يا غراي»

وانتظمت لتصعد الدرج، ولم يحاول أن يستوقفها.

وصلت اليه بالخداع ولقد قال انها انتهائية وحديث نفسها بانه رجل متوحش
وهي تسير أمامه في صباح ذلك اليوم الشديد البرودة من شهر ديسمبر/كانون
الأول

وكانت الرحلة الى لندن أمراً مقلقا طفق خلالها ذكرى لا يجدر العاطفي
الذي حدث بينها بالأمس كضباب لا يمكن احراقه. وغير اتجاهات كل منها
بحسب الاحتراف، كلتا يتقابلان دائماً في شجار صريح والان اسهى الشجار ومعه
المصراحة وبعد غراي مهنياً ومتعقلاً وسعدت توني بذلك، وأبدى معها
من اللياقة والمجاملة مثل ما يديه بنيامين وارين، وكان ذلك شيئاً غريباً على
غراي.

وأستدت ظهرها الى الظل بعد الوثور بينها أخذت سيرة غراي كمنظار الطريق
حيلاً بعد ميل وأصبحت بأب أحطت بما قالته له الليلة السابقة بدرجة لا يمكن له
أن يغيرها، وأطلق تنهيدة طويلة، وقال غراي مستعسراً بدون أن يحول
بصره عن الطريق.

جاءت بخيرة

وردت في أوب

نعم. أشكركم

ولم يتبدل أي كلمة بعد ذلك حتى توقف بسيارة أمام البيت القديم المألوف
في هورنسي

وقوقف غراي للحركة، وقال

هذا الوقت الذي تحتاجه لأمي كل شيء هنا

ووقع منها ذلك موقع الدخلة فقد كانت تظن أنها ستأخذ وقتها وتقيم ليلة
وتعود وحدها الى قصر الطرق البيضاء في اليوم التالي، وعارلت أن تشرح له ذلك،
ولكنه هو رأسه للأعلى،

مأوصاتي بنيامين بك وسأفعل ذلك، هل تستطيعين أن تنجزني كل شيء قبل
العصر

وفكرت ثم قالت

٧ - الغيوم تتبدد

وقفت توني في تمام الثامنة الا دقيقة من صباح اليوم التالي تنتظر في
الردهة، كان منظرها الخارجي لا يختلف عن توني وارين التي ذهبت الى قصر
الطرق البيضاء منذ ثلاثة أيام. ولكنها في أعينها كانت تختلف بعض الشيء
نسبة الى لفتها بالنفس بالوضعية الجديدة في عينيها وسواء أرادت أو لم ترد
كجوت الآنسة أنطوي وارين الكتابة المرافقة على الآلة الكتابة الى أطوبيا
وارين التي تنتمي الى شركة وارينز المعروفة في بوند ستريت.

وظهر غراي من الباب المؤدي الى جناحه بعد ذلك بأربع دقائق، ونظرت اليه
توني تنحصر على هيق منها ورأت فيه رجل الأعمال الذي كرهته دائماً
بسبب غروره وتسلفه وارتكازه حول ذاته وعدم استعداده لتحكم النطق وقالت
وهي تتظاهر بالصبر

صباح الخير

وارتفع حاجباه بعض الشيء، وقال

صباح الخير، هل أنت مستعدة

ونظرت الى ساعتها التي ضبطتها على الراديو وقالت في برود،

ألم تقل اننا ستدعوك في الثامنة

وزجر بكلمات ربما كانت اعتذاراً وربما لم تكن كذلك وحل سحبتها الصمغة

وفتح الباب الأمامي وانتظر حتى يجاز الباب قبله وأخذت ذلك على أنه نوع من

التحكم فقد كان يجعلها تشعر بالامتصاص ويذكرها دائماً أنها وصلت الى ما

«نعم. أعتقد ذلك. ولكن سيكون عليّ أن أبحث عن حال وقد يستغرق ذلك بعض الوقت.»

«سوف أقوم بهذا عنك فدينا حال يصمد عليه ويوسعك أن تغيري ربة المنزل أن كل شيء سيتم نقده اليوم، آخر النهار أو غداً صباحاً. وعندما تكملين عمرك هنا يمكنك أن تأتي إلى بوند ستريت. وسيكون الباب في انتظارك وقد أكون هناك بنفسى ولكن أرجو ألا يضايقك لأن... انتظري عودتي.»

وخطر لها أنه يتحمل فوق ما يطيق وهو يلتزم بذلك الأسلوب المذهب وقالت: «أرجو ألا تلقى نفسك بسببي فأنا معتادة على الحصول مثل تلك المسؤوليات وأستطيع أن أعود إلى القصور البضاء وحدي.»

وقال

«أنا لا أشك في قدرتك ولكن ليس هناك داع للسفر بالنظارة وحده لذا ما دمت ذاهباً إلى هناك في الوقت نفسه.»
وواصلت قائلة:

«حسنًا، سأحضر إلى بوند ستريت، حالك أكمل حزم انتفاع هنا وأشكرك على المشقة التي تكبدتها من اجلي.»

وخرجت من السيارة وشارت في زهر إلى الباب وكان مفتوحاً لحسن الحظ واستدارت لتفلفه خلفها، ولحقتها الكلبة رأت أن غراي خرج من السيارة والتفت طريقه خلفها على الممر، وحذفت نحوه في استمصار قتالة،
«هل نسيت شيئاً؟»

«ربما! الأتوبيس أن تدعيني إلى متجران القهوة.»

وأحسّت بالاضطراب ووجدت نفسها تهذي بكلام غير مفهوم وقالت:

«حسنًا. نعم. إذا أحببت. ظننت كان ينبغي أن أطلب اليك ذلك. ولكنني ظننت أنك على عجل تريد أن تنصرف.»

كانت تلقت عند مدخل الردهة وبدا على منبهى الباب الأمامي وكان هو على بعد خطوه صبا أسفل الدرج ونظر إليها غراي نظرة كادت تذهب عظامها وفتحت الباب مسافة أوسع وقالت:

«تفضل بالدخول فإني أريد قهوة ولديا حليب معبى، هل يفيقك أن تشرب القهوة بالحليب المثلج؟»
«كلاهما»

وما كاد يدخل حتى ظهر وجه السيدة بلات على باب سكنتها وقالت: «مرحباً! إذا يا أنسة. وارين؟ سمعتك تدخلين. هل قضيت عيد ميلاد سعيداً ألم تحضر أمك هناك؟»

«مرحباً يا سيدة بلات. أمي لا تزال في غلوشستر وأنا حطرت لأحزم متاعنا...»

وأحفظت الانشغاع عن وجه السيدة بلات فجاءة، وقالت: «هل لرحلان يا أنسة. وارين؟»

«نعم. أحس أن أقول ذلك، كان ينبغي أن أوردك وأخبرك رسمياً إذ لربما التقيت مع ألقربنا في غلوشستر.»

وارتفع حاجبا السيدة بلات في اكتئاب وقالت:

«صفاً إنه شيء طيب بالنسبة اليكها. جان الوقت لنسعى بالاستقرار في حياتكها ولعلك تعرفين شروطي. فليكنها أن تدفعا إيجار شهر مقدماً وفقاً لشروطه وعلفت توبي،

«نعم، بالطبع. دفعا الإيجار إلى آخر ديسمبر/كانون الأول وسأعطيك شيكاً عن الشهر المقبل.»

«لا يا أنسة. وارين! أريدنا نقداً ما دمت تأخذين متاعك.»
وظهرت على غراي لها يشبه الاعتذار وواصلت:

«أنا أرملة أقد جانب الخرص ولا يعني ذلك أنني لا أثق بك يا أنسة. وارين ولكن...»

وتدخل غراي قائلاً:

«هات قائمة الحساب وسأوفعها لك نقداً.»

«حسنًا... هل تدفع الإيجار عن الآنسة. وارين؟»

«نعم...»

قالا غراي في اختصار وواصل.

«ها يا توني»

ورضع يده على مرفق توني بحثها على صغره الفرج الضيق وأغلق باب
الثقة خلفها واستند إليها وقال

«امرأة لطيفة»

واستدارت توني بعيداً بأمل ألا يكون قد لاحظ النملة فتطعق في وجهها
وقالت،

«لمر بلود هنا... وسأشعل المولد»

وأشعلت عودين من الشماب يدوي يدوي وقالت:

«شيء مضحك لا بد أن العدد لا يعمل وضعت فيه خبثاً بنأ قبل أن يرحل
حتى يجد الغاز بوفرة عندما يعود»

وعلق غراي

«اعتقد أن صاحبة البيت كانت تستعمل الغاز أثناء غيابك»

وبحثت في كيس ملوحها عن قطعة من ذات الخمسة بنسات يدوي يدوي.

وجاء غراي إلى الطاولة من خلفها يقول

«اسمحي لي»

وأخرج قطعة النقود وتلامست أيديهما لللمعة اربعت خلافاً لتوني. وقال

«انك تشربين بالبرد أين ذلك العدد ذو القلب لتشعل النار»

«إنه تحت حوض الفسيل في المطبخ... في أسوأ مكان»

كانت العربة الصغيرة لا تزال باردة. وركعت توني ولتحت خزانة تحت
الحوض وحاولت هباً أن يجد القلب وكانت تشعر بغراي يلق خلفها مما زاد من
اضطراب يديها

«دميتي أفعل ذلك»

وركع غراي على الأرض بجانبها وواصل يقول:

«لنرحلي»

ونفخها دفعة خفيفة إلى الجانب وأخرج قطعة النقود من حيث وضعتها. وكاد

رأسها يتلامسان وهو ينحني ليضع القطعة في القلب وأدركت الراححة القابضة
التي كانت تنفوخ باستمرار من شعره. وسع صوت قطعة النقود تسقط في
الصندوق. وقال

«هكذا! ألا تفرقين أنني خير في الصفقات ذات القلب»

وجلسا الرفصاء متجاورين وضعت توني في اضطراب فائقة،

«ما كنت أعلم أنك رأيت أحدها طوال حياتك»

هولكتي رأسها بالعمل. «لؤكد لك... ففي السنة النهائية من دراستي في كيرج
كنت أسكن في غرفة مؤجرة لا تختلف عن هذه كثيراً وكنت أستمع بالهلال
فيها... لقد كانت سعيدة»

«سعيدة»

ثم تسعم من قبل ينطق هذه الكلمة. كان في هذا الصباح شخصاً غافلاً،
كأنه قرر فجأة أن يغير أسلوب التعامل معها وسرت لذلك لأنه سوف يهمل
حياتها الجديدة أكثر سعادة لو تلقتها كما يتنهلها بنامين.

ونفض ووضع كلتا يديه تحت عرقها. وساعد على النهوض على قدميها.
ولم تنطقاً بناء كما فعلتا من قبل. وقال

«إنه خيفة كالرشة والأمر! جهري القهوة وسأشعل النار بنقي. أقامنا ونشرب
القهوة»

ولم تضي لحس دقائق حتى كانا يجلسان على جانبي المولد وسما تقرأ على
الباب وفتح الباب على الفور لتدخل السيدة ثلاث وهي تلهث بعدما صعدت
الدرج وطابت إليها نظرة شك وقالت في خبث:

«أرجو ألا تكون قد قاطعتكيا. ها هي قائمة حساب الانسة وارين يا سيد»

ولم يعطها غراي الفرصة لتعرف اسمه وأخذت بعدد النقود بالعللة الورقية
ورضعها على الطاولة. وأحضرت توني دفتر الايجار لتسجل فيه الدفع. وطوت
السيدة ثلاث النقود ووضعتها بعناية في جيب فستانها الأزرق وقالت بلهجة
فيها شيء من اللطف:

«وصي الغلين الثقة يا آنسة وارين»

ونظرت توتي الى غراي الذي اومأ برأسه مؤكداً

«اذاً.. اعتقد أنكما لا تمانعان في ان تسكني الشقة أسرة صغيرة طلبت مني ان اوفر لها السكن في اقرب قرصة وحضراً للثمن ماقتصر بهن عن سكن واسم الأسرة طومسون وسأرسلها لكما اذا كان ذلك مناسباً»

كان السيد طومسون وزوجته في اوائل العقد الثالث من عمرها وكان يبدو عندها الأرقاء الشديد وقلل الشاب

«كلان يعمل في التعليم وسوف يبدأ معنا هنا مع الفصل الدراسي التالي»
رواصلت الفتاة الحديث

«إننا نقيم الآن مع بعض الأصدقاء في حي بايرونتر ولكننا لا نستطيع ان نخلل عليهم أكثر من ذلك، هل تفضلين السكن اليوم بالفعل»

ونظرت الى توتي وإلى غراي ثم ألقت نظرة حذرة الى غرفة المجلس الصغيرة، وقالت:

«إنها لطيفة يا ديس الشيء فيه الذي مريده ولكني اعتقد ان كثيراً من الاثاث لكما يا سيدي»

وأكدت لها توتي

«واريين الأثاث والسجاد منديل لصاحبة المنزل ولكن كل شيء» «مرا يخلصنا»
يخلص أمي ويخلصني، أنت هنا ستين وسأترك لك الستائر اذ رغبت في ذلك، وسأخلي باقي لشقة حالاً اذا أردت أن تضرري حاجبتك»

ونظر الزوجان الصغيران الى بعضهما وقالت الفتاة الصغيرة في اكتئاب:

«ليس لدينا ما نفعله، حدث كل شيء فجأة وكنا نريد بالفعل أن - تنظر بعض الوقت حتى نتزوج ولكن جده عرض العمل لكلي في المدرسة نفسها وجعلنا على رخصة الزواج، وهذا ما حدث»

ونظر الزوج الى غراي وقال

«إنك تقدر كيف حدث قلدي»

وعلق غراي في سهرته

وقالت توتي

«كننا نشرب القهوة... هل تشربين معنا»

وسكنت فتجاني من القهوة، وشعرا بالسعادة الكاملة عسما عرخت توتي ان تترك عليا الستائر والبياضات والفضاءات وسائر أدوات المطبخ وقالت،
«لكنك تصنعين لي معروفاً اذ أخذنا هذه الأشياء فمن يحتاج اليها ثانية»
ونظرت الفتاة الى زوجها في شيء من القلق تقول

«ما رأيك يا عزيزي»

كان من الواضح أنه يجري بعض الحسابات في ذهنه والتفت الى توتي يقول

«كم تريدين مقابل هذا»

وزدبت وهي تضع في اعتبارها أنها لم تكن تريد أن تأخذ شيئاً على الاطلاق،
ولكنها في الوقت نفسه لم تكن تريد أن تفرح كبريده، وقالت:

«لا أريد شيئاً كثيراً... فأتينا لوفدين على مشقة الحزم»

واكرمت مطلقاً متواضعة وأحس الشاب بالارتياح، وقال

«هذا مناسب تماماً»

وقالت توتي في ابتهاج:

«هكذا انقضا، إنقب وربنا امركما مع السيدة بلاث وسأحزم ملابسنا وأدواتنا الشخصية وسأتركها عند المدخل حتى يأتي الخيال لنقلها»

هتعللت أسير الفتاة، وقالت:

«تصين ان بإمكانك أن تسكن على الفور؟ إننا على استعداد لدفع ايجار شهر مقدماً»
والفتاة الى زوجها تقول:

«ألمست هذه بركة من السيد؟ هيما نتكلم مع السيدة بلاث وننتقن معها على الابهارة»

وهرولا جيطان الدرج، ونظر غراي الى توتي يقول

«من يحتاجنا الى جدد كبير لهذه المرأة العجوز ان تتروى في أن نطلب ايجار شهرين

بداً من شهر واحد.

ونفس غراي ووضع لفتاته على الطاولة، ووقف يمدق في وجه تومي، وأفادت عليه بتمحصها، وأسرع مبضها وأصت بالفرح وكادت تلقى بزايعها حوله لتعاقبه فقد تغير عليها فجأة. لم تكن تعرف السيد.. ربما لأنها رأت أسره طومسون فرحة سعيدة، ربما لأن غراي لم يتركها وحدها، لم تكن تعرف.

وقال غراي،

«ما زلت طفلة برغم كل شيء.»

ونظر إلى ساعته وقال

«بهي أن أذهب لتلا بطول انتظار مارشا سألوك ليا بعدا سوف تحضرين إلى بوند ستريت عندما تكملين عملك هناك»
وابتسم لها وانصرف مسرعاً بدون أن ينتظر الاجابة.

لم يكن بوند ستريت قد استعاد نشاطه بعد عطلة عيد الميلاد ولم يكن أحد من هواة المشاهدة وجهات المجال يعلقاً أماسها، فقط كان هناك رجال الأعمال يستحبون المضي في معاشفهم التي أحسبهم من الرياح الشرقية المألوفة. وهذا التلرع مهملاً من حيث النظافة فقد أخذ هيل النظامه اليوم عطلة ولم تكن مدينة لندن في أبهى صورها. هكذا فكرت تومي وهي في طريقها إلى معرض وارينز الذي كان معلقاً للجمهور كانت النوازل معلقة بشبكة الأمن المصنوعة من الصلب وكان الباب الزجاجي التيفيل مغلقاً ورأت الباب ينفخ السجدة بالمكنسة الآلية بالداخل، وهذا أنه كان يتوقع حضورها وأسرع لفتح لها الباب والمأقمت.

«استعدت صديقاً يا أنسة وارين.»

وعطت برشافة إلى الداخل تبسم بينها وبين نفسها فقد أحست بملق كبير بين المرة السابقة عندما حضرت تطلب عملاً داخل غراي الأبواب في وجهها وبين هذه المرة، لقد حدث تغير كبير في أقل من ثلاثة أسابيع وأخذت حياتها مساراً جديداً قاسماً.

وقال الباب:

«معاذ السيد لورنس اتوه من الخارج وهو في مكتبه في الطابق العلوي وقد طلب أن تذهبي إلى غرفته مباشرة.»

وشقت تومي طريقها عبر مكدل الأنيق وصعدت الدراج، انحطى بالسجاد إلى الغرفة التي تحمل اسم السيد ج. ر. لورنس ودعت بدون أن تطرق الباب، وقالت في ابتهاج.

«ما قد حضرت طيقاً للتعبات.»

وبدا على وجهه شيء من الارتياح، وقال

«هل نجحت في حزم كل شيء.»

ثم حمل فيها في شيء من الشك وقال.

«بالطبع يا تومي رجعت للفرو من الدراج، واضطرونا للذهاب إلى ريتشموند بناء على طلب امرأة بلهاء سرفت معظم مجوهراتها في عطلة عيد الميلاد ولم تستطع أن تعطي بلوصافها للشرطة ولم تكن متأكدة من أنها دلت تحت التأميم الأخير وطلبت أن أقوم بيازة عنها بكل الاجرامات، كان زوجها يقوم بكل شيء بيازة عنها ولكنه مسافر إلى هونغ كونغ الآن.»

واستعنت إليه تومي بشيء من المشاركة وانهم، واصل حديثه.

حولت الأمر القاصر على ذلك فقد وجدت عند عودتي أن السيدة جينز متغيبه بسبب ولم تحصل كذلك الفتاة التي أرسلتها لي الاتية بلالده ولذا أجدني مضطراً إلى أن أجز كل هذا بنفسى. أسفه ولكنك ستضطرين أن تسافري إلى الطريق البيضاء وحدها ريثما عني.»

وجذب الحانفة نحوه وقال،

«سأطلب الاستعلامات وأطعن على مواعيد القطارات بالنسبة اليك و.»

وظاغت تومي قاتلة

«حقيقه واحدة! لا داعي لأن تقوم بذلك عني. فأتنا أعرف كيف أحصل على مواعيد القطارات وأرتب سفري.»

ورتل عنه التوتريشيتا ما كان لغة من الأشراف أهبات عينيه وقال.

«هاتني فاكياً أنسى.»

ودفع الخلف اليها، وقال:

«تولي أمرك لذا»

وعاد يدهش البريد الذي أحمله كل رقم هاتف مكتب استعلامات بالذئبون، متوقفاً في فكرة توني، ورفعت الساعة، وتوقف خطه ثم أعادتها إلى مكانها، وقالت:

«لو أنني بقيت معك، هل أستطيع أن أقدم أية مساعدة؟»

كانت هناك فترة صمت، ووقع رأسه غملاً:

«لقد صديقت أنك يمكن أن تساعدني في العمل في هذا؟
وأجابته:

«بالطبع! فأتنا معتادة على العمل وأنت تعرف ذلك»

«ولكن لماذا تكلمين نفسك؟ لست بحاجة إلى العمل الآن»

«العم بنيامين يريدني أن أشغف بالعمل وأهل هذه فرصة للتعرف عليه»

«إن ما أقوم به من عمل ليس مثيراً إلى حد كبير فأنا أتعامل مع العقود والجمارك ومثل هذه الأمور»

«ولكنها أهال ضرورية»

«ما الذي تستطيعين فعله؟»

«أبستت وقالت:

«لم اقرأ أوراخي التي أرسلتها لك الآن بل لا...

«تعرفين أنني لم أقرأها وتعرفين السبب...»

«حسنًا، الاعتزال بسرعة جيدة والنسخ على الآلة الكاتبة ممتاز والمترجمة والاطلاعية بتقدير (أ) ومعرفة بالامانة، أما مسئلة الدفاتر فلا أحسنه، هل يمكن أن أكون ذات فائدة؟»

«أبستت وقالت:

«ومن أكون حتى أرفض مثل هذه الخبرة العظيمة؟ هيا إلى العمل»

«وجدت توني نفسها تعمل في سهولة إذ كانت طريقة غراي في إنجاز العمل حلاشه تماماً وأعجبت بسرعة يدهته وحته ذكاته، لم يكن يتروء في الخلل

القرارات وإذا ما جدت مشكلة فربها في صمت وانخذ قراره بعد تروثم انتقل إلى النقطة التالية، كان يراعي مشاعرها ويتوقف بين الحين والحين ليطمئن إلى أنها تلاطفه واطمأن إلى مفسرتها بعد وقت قصير وكترس اهتمامه للعسل الذي بين يديه. وفي الثالثة وطس دلتق وضع آخر رسالة كتبها في سنة الرسائل وأسد ظهره إلى الكرسي وقال:

«هل أنجزت كل هذا؟»

«أبستت توني وقالت:

«أعتقد أنني أنجزت كل شيء ما عدا كلمة واحدة في ذلك الخطاب إلى وكيلكم بالبرازيل عن طرد من حجر الأوبال لنها»

«وقرأ لها الكلمة وصحتها»

«كل غراي من وجهة نظري له تميز فحماً وأصبح جدياً ومتعملاً، وسألته:

«هل تشغلي أحياناً في تشكيل للجوهرات؟»

«أبستت وقالت:

«ببدي! ليس بهذرة كافية، حصلت مرة بتوجيه جولياندر وهو حربي لا بهاري كان والذي شريك بنيامين وكان يصّر على أن أعلم الخرفة من يدهتها وسأريه في يوم ما بعض القطع الممتازة التي صنعتها بتلي. عندما توني والذي اضطرب أن أحد مكانه في العمل الذي يأخذ الآن كل وقتي»

«وحول الحديث فجأة يقول:

«معي أكلت لآخر مرة؟»

«وأجابته:

«معد الاقطار»

«مرانا أهباً، إذا ما رأيتك في الذهب إلى كارل فلاستبار لي لعله يرسل إليها شيئاً اعتقد أنه يدرج هذا في تلبية طبائنا فهو يعرف عاداتنا في الطعام. هل تعرفين الطريق؟»

«كانت تذكر الطريق إلى مطعم كارل، وتذكرت أول مرة ذهبت إليه مع غراي... كل مجبول بكل جهده أن يجعلها تحافه ولكنه فشل، وصعدت لتأخذ

مكتاب كمضوي أسرة دارين ولتصبح جزءاً من عمل الأسرة. واتسع عليها
لجأة الى عالم مشرق يحمل بين طياته آملاً غامضاً في شيء ينتظرها. لم تكن
تعرف كنه ذلك الشيء أو تستطيع أن تتسجد

ووجدت منعطفاً بحر المر وصعدت درج المظلم كانتا على جنوبيين
ورجعت جيوفاني في ركب من قاعة الطعم يدعى ويلر، تذكرها ووقف
احتراماً لها عندما دخلت للتأمل.

«هلموا يا أنسة فالعمل ضعيف اليوم.»

وراصل يقول،

«غداً لشخصين في مكتب السيد لورنس! أهلاً... يا أنسة... سأجهر السيد
كارلي.»

ولم تضر ربع ساعة حتى صعد جيوفاني الى المكتب في الطابق العلوي
يحمل صينية مزودة بالطعام ولقاه معتذراً

«مع لمحات السيد كارلي واعتذاره. فلا زال العمل في شبه اجهزة.»

وأخى غراي مكاناً للصبية على المكتب الكبير ولقاه

«إنني رائق أنه طعام لآخر.»

وأوما جيوفاني عصبياً وقال

«سوف أحضر القهوة على عجل.»

وانصرف.

وقالت لولي وهي تلضم جزءاً من لحيف الخبز

«لا أستطيع الانتظار. لم أكن أدرك أنني جائعة الى هذا الحد.»

وحلق غراي قائلاً

«ألم أقل أنك طفلة؟ تأكدت من ذلك الآن.»

وساد صمت بعض الوقت لطعمه غراي يقول،

«توبي! أدرك الآن أنني أخطأت كثيراً في حقك. إنني اسف.»

وأخى وجهها. وقالت:

«لننسى ذلك ولا نتحدث عنه بعد الآن.»

وقال في حجة جادة:

«هذا أكثر مما استحق.»

وابتسم وسكب الشراب في كأسين ورفع كأسه وهو يقول

«دعنا نشرب بأمل أن تستطيعي نسخ هذه الأوراق يا توبي.»

وقالت وكانت أصبحت من جديد الطابعة المتواضعة على الآلة الكاتبة

«سأحصل الرشي يا سيدي.»

ورن جرس الهاتف على مكتب غراي. وربع الساعة، يقول،

«نعم. نعم. أوداً أهلاً يا مارشا كنت أنتظر لاسمع أين أنت الآن! تلقيت

مكالمة من كارين وهي مسرودة جداً بالمخيل.»

وصمت لحظة ثم قال:

«طرد... حسناً أنت تعرفين أن جو في غاية القلق ويحرص على أن يكون كل

شيء على ما يرام. وفي عزمه بالسيطرة لهذا لا يحضرين للندوة في الموضوع؟

حسناً الى اللقاء.»

وأقبل على الطعام بشهية. وقال،

«عند مارشا المصحة الجديدة الماهرة في مصنع سرف تحضر خلال دقائق.

إنها في المصنع الآن تقدم بعض أفكارها الى جولديا اللبابة والموهبة وسرف

تعتمد عليها الشركة كثيراً في المستقبل.»

ونظر لتوني أن مارشا هي نوع النساء الذي يميل اليه غراي. وعندما

حشرت مارشا تأكدت من أنها. كان مظهرها ملتأاً للظهر بدرجة كبيرة

وهب غراي للفتة ولحميتها بطريقة تدل على أنه تأثر بذلك المظهر قائلاً

«هاتك تيديين رائعة يا مارشا كمعدي بكه «أنا.»

والفتريت منه وهي تقول:

«أشكرك يا غراي! إنك لطيف للغاية.»

كانت تتألاً في المكتب كلهب متقد بشعرها امانل الى السواد وعينيهما

المتعاقبتين ووجنتيهما البارزتين وبشرتها السلاكية اجيلة كأنها مقبلة من عالم

آخر. كانت هذه هي مارشا للمصحة الجديدة في متجر وأريش.

وعرف غراي الواحدة بالآخرى وأحست توبي أنه لم يكن من العدل أن
تواجه بهذه الفتنة الرائعة في الوقت الذي يداق فيه تحمل سكانها في واريتز...
كانت الحرة بينها واسعة وعصية في الوقت نفسه.
ولكن، مارش لم تكن تعي أن هناك أية حرة بينها، لقد صاقتها وابتست
لها، كانت أسنانها بيضاء كالورق مقشور، وقالت:
«أنت أنظري! من أسرة بيتامين، طفتي عنده...»
ورفعت تفحصها للحظة ثم قالت:
«ولكنك جميلة، شعرك يشبه أوراق شجرة جميلة لدينا في البيت ولكنها لا تزور
هنا...»
وأعدت حطة من شعر توبي وصدرت تشككها، وتراجعت توبي إلى الخلف
في عيشة، وضحك غراي لثلاً:
«مارشا تريد دانيا أن تشكل الناس أنها لا تستطيع أن تعلم رغبتها في
التصميم والتشكيل...»
«أره أنتي دفة»
وعبرت هنا مارشا عن الأسف العميق، وواصلت:
«غراي على صواب، إنني أزعج نفسي كثيراً في شؤون الآخرين، أرجو أن
تسامحيني!»
وبدا في هبتها الصديق الكامل وحدثت توبي نفسها بأنها ينبغي ألا تقع
لحظ تأثير فكرة مسبقه عن مارشا وسرت إلى اندفاعها ونظرت إلى المرأة
البسطاوية في مكتب غراي، وقالت:
«أعتقد أنك على صواب يا مارشا سأحاول أن أشكل شعري ومن إقترارك»
وجاءت مارشا حطتها تشكل ما شعرت الذهبي حسب ذولها ورفقت خلفها
كفان يستعرض الوضع لأمثل مع عبارات الود والاستحسان وقال غراي:
«عندما تنتهيان تماماً هناك موضوع خاص بالعمل أحب أن أناقشه وسأكون
على أنا وتوبي أن تعود بالسيرة إلى المنزل البهية»
واستدارت مارشا تقول

مأسفة يا غراي لقد شغلنا عندك وسأقدم لك التقرير حالاً...»
وسحبت كرسيها، وجلست إلى جوارها على المكتب وقالت:
«يصلك جيم أنه سيصل طول الوقت حتى يكمل أتعز قطعة عرضها وهي
عقد الزمرد كما تذكر إنه رائع في خطوطه وفي محاسن وصفه»
ولمست توبي بكرسيها وقالت:
«مأسفة لا أقطع الحديث، ولكن أين أنسخ هذه الخطابات!»
وتبهن غراي وهو يوضح طرشا:
«توبي تساعدني على إنهاء البريد، وجدت رسائل عديدة عندما حضرت اليوم
ولم تكن السكرتيرة موجودة»
ولفت باب غرفة صغيرة ملحقة بمكتبه، وقال:
«هذا المكان أفضل ما لدينا»
وظهرت توبي عبر العتبة ووجدت طولة لالة الكتابة ومكتباً وكرسياً والة
كتابة وحاملة ملفات، وقالت:
«سأحاول»
وأومأ غراي، وعاد إلى مارشا بعدما أخلق الباب خلفه. وجلست توبي
إلى المكتب وفتحت الأدراج لتجد ورق الكتابة والكربون وخطوطها أنها كانت
صمغ في تلك الغرفة عندما تقدمت لتوظيفة كسكرتيرة ولكنها الآن الأسفة
انطرب ولربن ابنة اخ بيتامين وأرى وابتسمت كل غراي سيحتر
لها ذلك رئيساً لها، ولكنه الآن شيء آخر لم تكن تعرفه بالضبط
وجدت صوت مارشا من الغرفة المجاورة تضحك بصوت يصرخ من حولها
ككل شيء آخر فيها وجاء كذلك صوت آخر لم تكن سمعه من قبل، صوت
غراي وهو يضحك ضحكة عميقة تبيّن أنه كان على سجيته تماماً يستمتع
بصحبة مارشا.
ورفعت توبي غطاء الآلة الكتابة وجلست تسخ الخطابات الأولى

٨ - لا خوف عليه من الليل

صحيح أن لوني كانت طابعة سريعة على الآلة الكاتبة لكنها حاولت أن تبطئ من سرعتها حتى تتصرف مارثا. لكن الوقت مضى، وبحول التلقين إلى ظلام، ولم تستطع أن تنتظر لفترة أطول فجمعت الرسائل، وأخذتها إلى غرفة غراي ووضعتها على المكتب قريباً، وقالت:

«ها هي الرسائل يا سيدي تنتظر توليدها».

قالتها بطريقة فيها شيء من الاتسار فيها الآن الاتسار أنطونيا وارين وليست مجرد طابعة صغيرة...

وجمع غراي كومة الرسائل أمامه ورفع بصره مبتسماً وقال:

«أذكرك يا توني لقد أدبت خدمة عظيمة».

وابهتت مارثا قائلة:

«لا بد أن أنصرف حتى لا أؤخر رحلتكما، إلى اللقاء يا غراي؟ ساراه قريباً».

وذهبت يدها على ذراعها، وقالت:

«أنت تعرف مكانتي».

وأجاب غراي:

«نعم، انتظري سأوصلك. أعتقد أن بيتس أنصرف إذا طلب إليه ألا ينتظر».

وأخذت حقيبته يدها، وقالت:

«والله يا آنسة أنطونيا وارين».

ولمضت توني، أتت مارثا إلى الأمام وقبلتها ليلة سريعة وانتشلت

عطرها السامر في المكان، وقالت:

«لا بد أن يرى بعضنا بعضاً كثيراً، قل لي غراي - أنك ستستطيعين البقاء يا

غراي! اقلل إيهابك انطوخمة خلقية».

وعاد غراي يهلو وجهه البشر والسعادة وقال:

«سوف يسير كل شيء على ما يرام! سيظم المعروض أزياء القصص - كلارين لا يبر

وحل وارين ولا بد أن تشهد به يا توني فقد ترغبت في شراء شيء منه».

وابهتت وقالت:

«أنا أشتري من معروض أزياء، هذا يبدو جيداً!».

«بل إنه عين العقل في نظري فجسمك يلائم أزياء لا يبر تماماً».

لقطاً وهو يقرأ أول رسالة مما طبعته توني.

«لم أقل إن الأزياء لا تناسبني. ولكن المشكلة مشكلة توفر النقود لشراء هذه

الملابس...».

ولم الرسالة وهو يقول:

«سوف يصبح هذا أمراً عادياً في حياتك خاصة إذا انضمت إلى الفريق كما قالت

مارثا».

وأهتت توني بالاحباط فلم يكن غراي يهدي اهتماماً فعلياً بالموضوع ولم

تستغرب لذلك فقد شغلتها مارثا طويلاً، ووقلت تنتظر حتى ولق الرسالة

الأخيرة، ولزمت الصمت وهما يمشيان غرفة المعروض ويحذران الشوارع تحت

الصفوح إلى مرآب السيارة، وقال:

«سوف نمر بالنصيص أولاً فلدي مسائل أريد أن أحسمها مع جو لم نجهده مباشرة

إلى الطرق البعيدة لنصل مع وقت العشاء».

كان للمبنى القديم الذي يضم مصنع وارين أصغر بكثير مما ظهريته توني

وبدا الطابق الأرضي حالياً بعد أن تكرر هجوم اللصوص عليه فقد سدت

النوافذ بأنواع خشبية وطبعت بعض الشجرات على الجدران غطها الطين في

أجزاء منها.

ولمض غراي السيارة ونظر إلى المبنى المتآكل قائلاً

وكانه مقلب نفاية! من يصدق أن هذه كانت منطقة محترمة عندما جلبها أولين لأول مرة. بهامين يهكر في نزل المصنع برمته الآن إلى الطرق البيضاء. وعلقت توني

«حكمة معقلولة ولكن هل يراى العمال على ذلك»

«جو سوانى وروبيته لمجد الحياة في الريف، ولكن بعض العمال، الآخرين قد يعترضون فانما توفر لهم المسكن وما يروى الاعتراض. أعتقد أن في هذا ما يثير اهتمامك لأنه مجال للعمل في الرعاية الاجتماعية»
ولمالت في هدوء.
«يوافقنى»

وهم تطلب في هذه المرة أن تبنى في السيارة حتى ينهى عنه مع جو كان مظهر الشارع الخالب يوحى بالخطر وصعدا الدرج - الخشبي المتهاكك، ووجها لا يتمر وحده في المصنع كالمرة السابقة عندما أحضرها غراي إلى المكان، وانشرح صدره لرؤيتها. وأخرج العقد الذي كان يقوم بالتجارة لهرى كالبرين لاير وما كذبت توني تراه حتى أخذت بجهالة، كانت جهات الزمرد تتلأأ كبحيرات خضراء جميلة في قمة جبل، وتتراط مع بعضها البعض بكتل أصغر من أبلاتين المرصع بالذاس، ربط بينها جهاً مشبك حسم بطريقة رائعة تصورها من تصميم مارش. وأمسك جو بيدها وأحاطها بالمد ثم أطفأ كل الأضواء في المصنع وصدرت الحل تتلأأ وتلمع وأخذت توني تمرك يدها في المحاولات مختلفة معجبة بالمد الجميل، ولالت

«إنه رائع، ومغتن للفاية وفلس»

ورفعت رأسها وابتمت لجر قلقة

«ألا تشعر بالزهو الكبير وبالنجاح لأنك تستطيع أن تصنع شيئاً كهذا»

هذه هي الحقيقة يا أنسة، إنك تعمين شعور المرء بالتجريح لا تريد أن تصبحي فتاة يا أنسة ولورين»
وهزت رأسها لائلة:

«كنت أقمى ذلك وكل والدي نباتا، وكثيراً ما حدثني عن السعادة التي يحس بها

الإنسان عندما يدع شيئاً هل لي أن أحضر في وقت لأشاعلك وأنت تعمل»
«يكون لي الشرف يا أنسة ولورين»

وأخذت توني تتجول في المصنع، وما أخذ غراي يناقش مع جو مسائل الفني الفصل

وقالت وهي تتول القدرج الخشبي المتهاكك بعد ذلك بدقائق

«أجيتي أنهم الآن ما يمنه من التكاليد وأصول الحرفة والالتقان»

وألقى عليها نظرة وهو يقول،

«لن نحتاجي إلى مزيد من الاتعاج لتحتل مكانك الذي تستعبدنه عن جدارة في الشركة»

وأجابت

«لنني أطلع إلى ذلك»

ولفتح الباب الخارجي، وتقدم إلى الرصيف وتوني تسير خلفه مباشرة وأحت به بمصالب وهو ينظر حوله ثم يصيح:

«أخطفت السيارة أخطفت»

ووقف ينظر على طول الطريق وقد مسح لفضيه أن يمر من نفسه بطريقة لم يصبها توني من قبل - لم يكن في الطريق سوى جماعة من الفلبان ولم يكن هناك أثر للسيارة وعبر الطريق وأخذ يتحدث إليهم. وعندما رجع كان وجهه قاحاً وقال:

«شاهدوا ثلاثة رجال يركبون السيارة ولكنهم لا يستطيعون وصفهم ويعتقدون أن أحدهم كان يحمل طية، هذه المسألة لا يحلها الا الشرطة، سوف أجري بعض الاتصالات»

كانت هناك مشكلة طويلة مع الشرطة من المصنع ولم يكن بوسع توني

وجو لا يتمر الا أن يصنعا ويتطرا، وعندما أنهى المكالمات قال

«لنم نحضر سيارتك معك يا جراه»

«طس يا سيد غراي، أخذتها زوجي اليوم إلى السوق»

«لنن سأسير إلى المحطة، ذلك أسرع من انتظار تاكسي» «لشركة تريدني أن أوقع

على الحضر ^{وإن} أعطي مزيداً من التفصيلات.

ونظر إلى توني في عسيق:

«لا داعي لأن أشفيك، معى ابني هنا في رعاية جو وسأمر عليه عندما أكل المهمة مع الشرطة»

وعندما انصرف أخذت جو يناقش المشكلة بالتفصيل، وقال جو «إنه من المحتمل أن تعثر الشرطة على السيارة متروكة في مكان ما... عندما يحقق الأشرار غايتهم منها»

فإنهم يستطيعونها لتقلعهم إلى مكان ما ثم يتركوها، وهذا يحدث باستمرار» وأجاب في أكتئاب:

«هناك مكان على الطريق أأغار فيه الأفياء ثلاث مرات في السنة الثلاثة» وتهد وقال:

«أفأس أن أنقل من لندن التي لا أحرص على الإقامة فيها يا أنسة» وتريين» ونظرت توني عبر العرلة وقالت:

«هل حدث مطو عليكم في يوم من الأيام» وأبهم جو قتلاً:

«لا خطر من ذلك» فتوجد هنا أشياء كثيرة خطيرة ولكنها لا تستحق الجهد الذي يبذل للحصول عليها، والسيد غراي رجل حاذق يستخدم أحدث إجراءات الأمن وسوف تسطو عندما تعرفين الأجهزة التي أحضرها بما فيها تلك الأجهزة الإلكترونية. ليتم هربها سوف يكتشف أمرهم قبل أن يهجموا أينهم القنطرة على أية حاسة أو قطعة من الذهب»

وهز رأسه في أسف قتلاً:

«داند عالم ليس اليوم يا أنسة» وأريين، ولكن السيد غراي ينق طريقه، أنه يتتبع كل ما يحدث بدقة بدقيقة»

ومضت لزيارة الساعة قبل أن يعود غراي. كان جو حلالاً قد أعد الشاي، وكان هو وتوني يشربان الشاي ويأكلان البسكويت... وكان جو يتحدث عن الحديقة التي يحلم بإنشائها عندما يذهب إلى غلوشستر

ونبض جو عندما دخل غراي وسأله:

«آية أخبار عن السيارة يا سيد غراي؟»

كان غراي يبدو مهكاً ويشعر بالأحباط وهز رأسه وقال:

«أعطيت توصاف السيارة للشرطة، ولكن الأمل ضعيف في أن، يهدوها اللينة، حصل مطو على مصرف في فراحي لندن ولذلك على بها إحتلال سيارة لا يحصل أهمية كبيرة»

وهز كتفيه وقال:

«سيكون عليها أن تنتظر ثري»

وقال جو:

«هل هناك شيء ثمين في السيارة؟»

«لا شيء بصفة خاصة سوى...»

ونظر إلى توني:

«حقيبة ملابس وأخشى أن تكون قد ضاعت»

وقالت مؤكدة:

«لم يكن فيها شيء مهم»

وحاولت أن تتذكر محتوياتها. وفي أي حال سوف يذهبون إلى الطرق البيضاء اللينة، ولكن كيف يذهبون وقد وقع ما وقع وإذا لم يدهبا... فأين بقضبان الدبل؟ ونظرت إلى غراي وكانت عياء تتجولان في المتاحف وفي الخزائن وفلت أنه كان مطمئن إلى سلامة أجهزة الأمن وتخصص الخزائن المصنوعة من الصلب وقال:

«كل شيء محكم تماماً يا جو حسناً، إذا مخرج... هناك ناكسي ينظر بالخارج وستواصل إلى بيتك»

وأمرلا جو في لحظة فكتوريا، وسالت غراي عندما رأت الناكسي يأخذ طريق قصير يكتفهم.

«هل أين ذهبك؟»

«هل شفتي فعندي استراحة في شيلسي، وهناك نأكل ثم ندرس الأمر»

وثوقف التاكسي أمام بيت قديم عند جسر شيلي وكان كل شيء ساكناً.
 توقف في كل ركن وبعده كبير للزهور الزينية للزرقاء يعرج عطرها. وحاولت
 تولي أن تفلون بينها وبين مسكنها في حي هورسي ولم تجد وجهاً للفتنة.
 وحملها المصعد إلى الطابق الثاني وفتح غرابي الباب رقم ١٧ - لتدخل
 توبي أمامه، وحلح مططه وألقى به على أحد الكراسي وقال
 وحظي راحتك. غرفة اعيام هناك، تدبها غرفة النوم، اسف لمصباح طبيبك.
 وواصل في شيء من الحموية:
 حاول ما يحتاجه الطعام، إني على ثقة أنك جائع مثلي، كانت زوجة كلوي
 كاثية ولكنها لم تشعني، انهم يقدمون شواء مختاراً هنا حسب الطلب، وإذا
 وافقت سأزول إلى الطاحنة لأرى ما يمكن أن تقدمه اليها.
 وهزت كتفها، وقالت:
 «كما ترى، انني بين يديك حالياً»
 وسار إلى الباب ثم رجع وقد بدأ في عنبه البحث من جديد وسأله:
 «هل تعرفين ذلك حقاً»
 ولم ينظر إلا لاجله:
 وبدأت تستطلع المكان، كانت شقة صغيرة ولكنها فائرة وحديثة كانت غالية
 لأنهم لأحد رجال الأعمال في لندن له بيته في الريف، وتجهزت في الشقة في
 شيء من العصبية وأطلت على المطبخ كان كل شيء يكفي فقط لأعداد الطعام أو
 الشراب لشخصين، وكان يوسعها أن تتقبل فتاة أليفة مثل عارشا تأتي إلى
 هذا المكان بعد حفل موسيقي أو مسرحي لتصنع الأومليت وتتغني في مرج من
 خلال الزهرة لغرابي الذي يحدد على أحد الكراسي الوثيرة في غرفة الجلوس،
 وكان المهام الأزرق يلون تبرز فيه قطع معدنية لامعة، أما غرفة النوم فكانت
 ملساء ولها سرير يتسع لشخصين، وغرب على الفور وأغلقت الباب بإصبعي
 زوجة الرجل ذي الحبة الزرقاء في القصص.
 غرفة واحدة للنوم فقط إذا فقد جسم الأمر وليس ثمة مجال لاهتمامها الليل معاً
 في ذلك المكان ولا بد أن توضح له ذلك جلالاً يعود:

واغتسلت وانجبت إلى المرأة لتظم شعرها، ووجدت مديلاً على الرف
 الزجاجي، كان مديلاً مطرواً واستطاعت أن تغير رائحة العطر المسحر الذي كان
 يفرح من عارشا قبل أن تقرأ الحرف ثم على أحد زوايا المبدل مارتا
 حسناً، وهزت كتفها، وأحرج المسط من حفية بها راخذت تلمس شعره بعدم
 اكتراث.

ووجدت في حفية بها غطاء للرأس من البهلون يحكم على الرأس بخيط
 أسود ناعم من الحرير، وجدت الخيط فجأة وشكبت شعرها على هيئة خضيرة
 ودرجته بالمخيط بقوة ثم ولقت تندهمى النتيجة في المرأة، وتذكرت صورة
 أخذت لها وهي في الصاب الخامس الابتدائي. كانت وليقة الصلة بنظرها الآن،
 وتأكدت أن وجه الشبه بينها وبين ابنة عمها ممدج أخفص لاسماً بظلك
 الضميرة، وهكذا لا يجد غرابي أي شبه بينها وبين الزوجة التي لقدما.

وعادت إلى غرفة الجلوس لتجد غرابي عاد وقد ولقت مصباح يقب في
 صحيفة وبدأت عليه الدخنة عندما لاحظ تمريرة شعرها الجديدة ولم يعلق
 وواصل النظر في الصحيفة يقرأ العنوان الرئيسي:

مسطر على أحد البنوك، البوليس في مطفونة بالسيارات رجل قتل.

وهز غرابي كتفيه قائلاً:

«صدق أنني لا أمل في العثور على السيرة البتلة»

وألقى بالمجموعة جانباً وقال:

«ستعطي لي لقاء الليلة في المدينة يا توبي»

وعلمت قائلة:

«هل بإمكاننا ذلك؟ أليس هناك طائر يومئذ»

واستقر قائلاً:

«هل أنت متضايقة؟ قلت أنك بين يدي على ما أذكرك»

وتعبرت في الكلام قائلة:

«لم أكن أقصد»

«لم تكني لتعدين؟ سري، ما رأيك في أن سخلع القناع؟ لا أحب أن تظن

المدينة وود أنني اعتديت على لاصره

وقبل أن تمرك بيته امتدت يده إلى شعرها، وجذب الحيط ونهطل الشعر حول
كتفها كأنه ستان طري اللون ولمسه غراي بأصابعه قاتلاً

هكذا أحسن أرى أن أتصل وأخير بنيامين بما حدث.

واحد هاتف من مكانه وجلس على أحد الكرسي الوثيرة ووضع الآلة على
ركبته وبدأ يطلب الرقم.

وحدث توبي نفسها ترتعد بانفعال المصيب، كيف يجرؤ على أن يعانها
كما لو كانت قطعة خضالة وقعت بين يديه وصارت برنيد وهو يجلس وقد انحنى
رأسه القاتم على الهاتفون وتحدث ساقطاً وبدت عليه لثمة الكرامة في استرجاع
ولم تكن الاجابة بعيدة عن ادراكها

اعترف طار وجه الشبه بينهما وبين مبدج كان يفتقه في أول الأمر، وحلال
عطية عيد الميلاد وفي الوسط العائلي حاول أن يفتح نفسه بانها مبدج وأنه
حصل على روحته من جديد، ولكن ذلك كله تغير الآن فقد عاد إلى نفس في
جوه الحسني بدير خلاً محقداً ويكاد يكون وحده، ولله ابدى سعادته بملاوتها
في تلك الأمسية، لم يكن يعلم بحيال مبدج هنا وكانت أمامه الحيلة الحسنية
تتمثل في مارث التي كانت تستطيع أن تشبهه من كل الوجوه.

ورنص سوبى ذلتها وتصلب ظهرها أن هذا ما فرادته إلى محتاج إلى
مصارعته مرة أخرى.

وجاءها صوت من الداخل يهول - أو امك تصارعين القصار - وكان الصوت
خفيفاً أمكنها أن تتبينه.

كان غراي قد توجه إلى الطريق البيضاء وكان يجلس بنيامين وخرج
له كل شيء من السيارة المبرقة، وقال:

«وهكذا عانني أحسن يا سيدتي ألا تستطيع العودة القليلة فليس أمامنا من سبل
البقاء، وبصره فاني لا أريد القليلة وحاصلة أنني سأهبط إلى العودة في
الصباح. كان يوماً حائلاً أنطورياً أنها بجمع علونتي بجرجه كبيرة في المكتب،
نعم أوافق تماماً نعم، سأعمل لذلك هنا ما كنت أفكر فيه نحن الآن في شفتي»

وستتفول المشاهدة

وضحك وقال

«أعد بأنني سأعني بها، هل تحب أن تكلمني بنفسك»

وبعد الساعة إلى توبي وأخذتها منه وهي تلف على أبعاد مسافة يسمح بها

السلطة، وصعدت صوت بنيامين يهتف أسد على سرفة سيارة غراي وقال
«من لأوسف أن امك ليست هنا حتى تكلمها، خرجت إلى الكورخ الآن لمحض
بعضاً للمطور، سوف أطمئنتها عندما محضر هل انت بعيد تماماً يا أنطوريا»
نعم إنني بخير»

وأصحت بذراع غراي يحيط بمصرها ويشد لتجلس على ذراع كرسية.

«قال لي غراي أنك ساعدته في أعمال المكتب»

«بكل ما أستطيع»

كانت ذراع غراي لا تزال تمتد عن طوق درج الكرسي خلفها،
«حسنأ جداً يا ابنتي العزيزة، أشعر بالاضطرار الكامل عليك طلقاً أن غراي
هناك يعني بك وأرجو أن لمطرانا بما يحصل»

ورعدته بذلك، وودعته، وأعطت الساعة لغراي الذي بدأ يتحدث عن
بعض تفاصيل المنزل مع بنيامين. وكانت تود أن تهبط ولكن ذرعه الحازمة
أسكت بها وحاولت أن تتخلص بلا لماندة، ولم يكن بد من أن تجلس حيث هي
حتى انتهت المكالمة

ووضع الهاتف على الأرض، وقالت له

«هلا تركتني أنفص»

وطفطن لسانه وقال

«كنت أظن أننا صرنا أصدقاء، لم أكن أنصوّر أنك تكرهني إلى هذه الدرجة»

وعثرت تقول

«مسلماً ظنن أنني أكرهك»

وسادت فترة صمت طويلة ورفع بصره إليها، وفي عينيه شيء من التأمل ثم

أطلق سراحها وتهبط على قدميه وقال.

«لماذا أظن أنك تكترهيني؟ لا أعرف؟ هذا ما أحس به»

وبلعت تومي ريقها، لم تكن تريد شيئاً سوى أن تعوض بها الأرض
وتحتضني عن الأمطار

وأحضر لها كأساً من الشراب وكانت لا تزال تمسك على فراخ الكرسي وأحت
بأنها لن تستطيع أن تنهض ثانية

وفتح باب الغرفة ودخلت امرأة جيدة تعرف أبيها لحمل صبية وقالت:

«هل أصبح الصبيبة على الطويلة يا سيد لورنس؟ الشواء على النار ولن يحتاج
أكثر من دقائق قليلة»

وحملت الصبيبة عبر الغرفة مبتسمة لتومي، وترددت بعض الشيء وأغمضت
وعلمت حينها ثم وضعت الصبيبة على المنضدة بطريقة مفاجئة نوعاً كانت
تولي له تعودت على ذلك من أولئك الذين كانوا يهرولون حيدج

وقال غراي:

«شكراً يا سيدي وود أنت معجزة، تومي تلك مدبرة المنزل المفضلة التي
تقوم بالإسراع إلى بيت كامل، وهذه هي الآنسة واردين يا سيدي وود، ابنة
أبي السيد بنيامين وسوف تنضم إلى الشركة»

ولقبت السيدة وود بكلمات مناسبة، وصافحت تومي ثم خرجت وهي لا
تزال تحت تأثير الارتباك

وعلمت تومي:

«لأنها تبدو إنسانة لطيفة»

«نعم أنها كذلك»

واسترخى غراي على كرسي في الجانب الآخر من الغرفة وأخذ صحيفة المساء
ولم تدم تومي المفارش ونظمت أدوات المائدة ثم عدت ترتب شرايحها ولم
يطلع غراي بصره عن الصحيفة، حتى عدت السيدة وود ومعها الطعام.

وعندما صاروا وحيدين في الغرفة بهض وأحضر كرسياً لتومي وقال:

«أأمل أن يعجبك»

وقالت تومي في أدب:

«لأنه يبدو لطيفاً»

وجلس يأكلان في صمت، كان اللحم رقيقاً وجيد الشواء وبكى تومي لم
تكن لها شهية للطعام وزاد صيقها شيئاً فشيئاً حتى جاء دور الأبناس، ونجيت
أنها تسمع غسها تاكل كأنها شاة تقضم العشب في المرعى

وبل لها غراي:

«شيئاً من الجبن»

ولترددت قائلة:

«لا شكراً»

ثم انتفعت لتسكب لنفسها القهوة من الغلاية «تكترهانية»

وعندما أكلا الطعام، قام غراي بجميع الأطباق وجعلها إلى مدخل الشقة
وفى الجرس ليتلقى مدبرة المنزل وقال:

«كانت وجهه ممتازة يا سيدي وود، أذكرها وضعت اللصقات في الخارج
لتجميعها في الوقت المناسب»

واسترخى على أحد الكراسي بينما جلست تومي في قن على حافة كرسي آخر
وسأها غراي:

«هل تشعرين بالنصب»

وللت على صجل:

«لا إني بخير»

ونظر إليها وهو يذكر قائلاً:

«أعتقد أننا يجب أن نذكر في ترتيب صبيتنا الليلة، هناك سرير واحد لشخصين
هل تشاركونه»

«هنا قطع لا»

«هذا ما توقعت»

واستغرق في تفكير ثم واصل يقول:

«للأسف، إننا علمنا أن نذكر في شيء آخر، ما رأيك لو غمت أنت على السرير وقت
لنا على الأرض هناك»

وقالت تومي:

«لا»

«ألا تتقنين بي؟»

وقالت للمرة الثانية:

«لا»

ورجع إلى كرسيه وقال:

«إنك فتاة لا تعرف إلا أن تقول لا»

وحظى بصره إلى السجدة ثم رفع بصره إليها ينظر في عينيها وقال:

«هل تقبلين أن تتزوجيني؟»

وقالت في لحظة خشية:

«لو كانت لعبة فإني أظنها لعبة سخيفة»

وكرر في صوت خفيف:

«إنها ليست لعبة...»

ووضعت يدها على خفيها وقالت:

«لا يمكن أن تكون جدّاً»

ولكنها وأنه حاداً... ولو قالت - نعم... فسي يكون عليه ان يبحث عن مكان

للمبيت! بل سيكون في وسعه أن يتصرف كما يحلو له بدون أن يخطب

بسيامين، وأحد ثلثها يجمع في قوة لقد ذهب إلى حد الزواج لأن ليهيشا في عالم

من الخيال تلعب هي فيه دور زوجته الراحلة صيدج.

كان برحبها، وحيل إليها أنه كان يقرأ أفكارها، وقال في هدوء:

«إلني جدّاً تماماً في طريقي»

وحديث فيه يكون شحوب وجهها وقالت:

«أف... لماذا؟»

وانحس إلى الأمام في كرسيه وقد تشابكت يدها في ارتقاء واستقرت ذراعاه

على ركبتيه كأنه يشرح نقطة في متاشته من حنايات العسل، وقال:

«عترف أنني لم تكن لذي أية بيه للتكبير في الزواج من جديد إلى الأبد ولكن

من ظهورك تغيرت الأوضاع شيئاً ما... إني أجد بعض المزايا لكلياً إذا ما تزوجنا»

مزايانا لم أوسع في حياتي شيئاً مثل هذا، كأنه يصدر عن السنان ينسج من الأحاسيس»

وابتسم لها تلك الابتسامة الضيقة المدمرة التي أحالت عظامها إلى ماء قاتلاً.

هاتك تعزيتي يا طفلي العزيزة بالتأكد بدرجة لا يصح لك معها أن تهينني

بالخلو من الأحاسيس، أصبري معي أسي أحاول جهدي أن يظل الموضوع في

أيدينا، كل ما أستطيع عمده في الوقت الحاضر أن أبقى في الجانب الآخر من

الغرفة ولو اقربت منك لمؤلمتك ثانية، حسناً أسي لا أقول أنني فستطيع أن

أنتصرف باستمرار هكذا، كالسنان مهلهل أماماً»

وشهق نفساً هيبداً، وقال:

«حرفي جيداً أنني لا أخلو مع الأحاسيس يا تومي! وأعتقد أنك أنت الأخرى

لست كذلك»

واحمرت وجنتاهما. وتحدث عينيها بهدأ عن عيني المحدثين تجاهها وقالت في

صعوبة:

«لما لا نتحدث اللغة نفسها. لا أستطيع أن أتزوج بدون حب»

وقال في صمت غريب:

«حب! هل تقولين لي ماذا تعنين بالحب؟»

ولم ترفع عينيها، وقالت:

«هولاً أقول أنك لن تفهم»

«حاولي يا نظري»

كانت هناك فترة يكون طويده تركزت فيها عينا تومي على يديها

للشايكتين في تصلب ألسنها ثم قالت:

«ربما يعني الحب شيئاً مختلفاً من وجهة نظر المرأة أسي لا أريد أن أحب فقط من

أجل...»

وتهدج صوتها في عجز عن الكلام... ولم تتكلم... ولم يحاول أن يقدم لها أية

وواصلت بعد برهة تقول في لهجة أكثر حزنًا:

«أخبرني عسى يبيها من عن حجر كريم يمكن أن يصنع هذه الأديم انه يشبه
الملمس تمامًا ويخرج النار التي تخرجها آية حاسة طبيعية ولكنه في الواقع ليس الا
تقليدًا ولو تزوجتك لكان الأمر هكذا ستكون هناك النار بالفعل، ولكن لا يوجد
لحتمها شيء ليجد، مجرد مظهر حداد انني لسعة، ولا أستطيع أن أشرح أفضل من
ذلك»

وطال الصمت الذي أعقب كلماتها، ثم طال وأصبح كثيفًا وصلبًا ولحمدي
كأنه شيء مصنوع... ونهض غراي وهو يزكفها يقول:

«شرحت جيدًا والآن فلن أسب شيء في هوان أنسحب، وأترك لك الشقة الثيلة
لم تكن تعرف ما تتوقعه من وراء تلك المجانية؟ الفذهب؟ ربما. أو الاغربة
التي يحمده الرجال لاقتراح النساء أو الكبرياء واثقة بالنفس التي لهماه يحمده
من جلايته التي لا تقاوم سندا في الحصول على ما يريد لم تكن في باحوى الأمر
بالتأكيد تتوقع ما حدث، شبه قليل لجوابها في غير اكتشاف، وأصحت بالصراخ
لحزنها في حجرة عينيها... ما الخطأ الذي حدث لجعل الأمسية تنتهي تلك
النهاية... إلى شيء يقترب من العداوة التي كان يجها نعيمها لأول الأمر»

ودخل غرفة النوم ثم خرج منها وضعه حلية تشبه تلك التي يحملها المسافرون
على الطائر وقال:

«احتفظ بهذه الحلية دائما للطوارئ»

وعلمت:

«ولكني لا أستطيع أن أخرجك من شقتك بهذه الطريقة، هل يمكن أن أنتقل إلى
أي فندق»
وأجابها:

«في هذا الوقت من الليل؟ وليس معك أي متاع؟ لا أجل! وفي أي حال لست على
استعداد لتضحية بقية المساء في اتصال هاتفي مع القنصل لأعثر لك على غرفة
لا سوف تبقين أنت هنا وستجدين ملاقات نظيفة على السرير، إستطعني ما

لحماجه بما في ذلك ملاهي إذا استطعت أن تلبسها وهناك فرشاة أسنان جديدة
في خزانة الحمام، خفيها»

وسألته في كلمات متعثرة:

«ولكن... إلى أين تذهب»

«كنت أقتصم مسخرة عذرة وهو يقول:

«ولا تشغل نفسك من في هذا الوقت المتأخر لن أجد صعوبة في الحصول على
مكان للمبيت»

ورفع صوته وسار إلى الباب للتألق

«استطعت سدا يا توني! لن أفلتلك مرة ثانية»

ومرح

لقد ذهب إلى مارشا بالطبع، إلى مارشا حيث الدلم، وحيث المراسلة، إلى
مارشا بصحبتها المتقطعة في صوت خطي وفي مودة يطررها الفياض
السحر إلى مارشا التي لم تعذبه ولن تذكره باستمرار في قلده، ولكنها سلوى
وعزاء وأت توني كل ذلك يحدث رأت غراي يخرج في الليلة الباردة المظلمة
ليدق الجرس، جرس شقة ما في مكان ما... ورأت مارشا تفتح الباب وهي
تتصم في كبرياء...

كانت الغرفة دافئة، ولكن توني بدأت ترتعد لقد تصرفت بحكمة عندما
جدهته وهي بعيداً مدفوعة بشتتها واستغلاها الذي ورثته عن أبيها. لماذا
شعرت لذا بأنها وحيدة وهالعة؟

وبدأت تفرح الغرفة في تلك العذول ألا تواجد اللحظة التي يكون عندها فيها
أن يجيب على ذلك السؤال... ولكنها الإجابة التي لم تعد تستطيع أن تتجنبها.
كانت إجابة عظيمة جعلتها تتوقف فوراً، ووضعت يدها على قفها لتصبح نفسها
من أن تصرخ بها.

كانت قد وقعت في حب غراي لورنس في عيني وجنون برغم كل مشاعر
التعقل، ومع ذلك أرسلته إلى امرأة أخرى...

٩ - سقطت... الى اعلى

وأضحت توتى الليل في أحد الكراسي الوثيرة منكشة كلها حيوان مذعور، كانت منهكة تماماً ومع ذلك نامت يوماً مقطّعةً كأنها تحمل عبثاً ثلجاً وعندما بدأ الضوء يرحف حول أطراف الستائر، استغرقت في نوم عميق صحت منه على صوت الحائل بعد خمس دقائق تقريباً وسحبت نفسها من الكرسي، وكان المتكلم هو الشرطة تسأل عن غرامي.

ورفعت شعرها الأنثى الى وراء، وظهرت الى الساعة الكهربائية فلما بها تشير الى الساعة تقريباً، وأجابت:

«أنتي أسفة.. السيد لورنس ليس موجوداً الآن أنا سكرتيرته هل تترك له رسالة؟»

وأرجو أن تطلبني اليه أن يتصل بالشرطة ويطلب التاويش براون من فضلك».

كان الانهالك يبدو في صوت رجل الشرطة كأنه سهر طوال الليل أيضا.

«نعم سأفعل... أشكرك... الى اللقاء».

وكتبت الرسالة على مفكرة الهاتف، ثم أخذت القدم مرة أخرى وأضاحت:

«عدت الى الطرق البيضاء بالتفكير توتى».

وأوصدت باب الشقة بعد ذلك بـخمس دقائق خلفها، وهبطت الدرج، وخرجت الى الجسر، كان التقسيم أليارد حبيب من النهار وأحسب ببرودة الجو بعدما تركت الشاة المكيفة وعمرت الطريق وأسرعتم في السير كانت مفتتحة بأن للشي يشط

المتفكير، ووجدت نفسها عند جسر وستمنستر بعد ذلك بوقت قصير واكتشفت أنها لم تكن تفكر على الإطلاق.

ورفعت نطل على النهر الملون بلون الوردوار وعلى الحارة الذين يهرولون، ولد شحبت وجرحهم وحفظوا رؤوسهم خشية الرياح كان المنتظر صدى لما نحس به من كآبة... والتفتت وألقتهب الى مدخل الاندو غرونود.

كانت محترمة العودة الى الطرق البيضاء بأسرع ما تستطيع وماذا بعد ذلك؟ لم تكن تعرف، ولكن على الأقل ستكون مع الناس الذين يحتمون بأمرها فعلاً.

وانصرفت هاتفاً من محطة بادستون بعد أن عرفت موعد القطار، ووجدت سائق بياويي ينتظرها في السيارة، وانصرفت ابتسامة شديدة وهي تركب السيارة فقد أحست عند ذالك بأنها بالفضل الآسنة أنطويها وأرين، لم يكن ذلك يعني لها شيئاً كثيراً عندئذ، ولكن أنهم «بها ستصبح مع أمها من جديد ومع بياويي، وقد فرحا بمودتها وأبدوا اهتماماً كبيراً بسياح ما حدث منذ هاجرتها.

وطبأت بياويي الى ثقة غربي بأن معرض كارين لاينر في الأسرع التالي بهم أحدث المعروضات، وأحبرتها عن سرفسة سيرة غرامي وعن اضطرابه لفضة الليل في مكان ما بينما اضطرت هي لفضة الليل في شقته في شيلي.

وعلمت أمها

«باله من رجل شهم كريم».

ونظرت توتى اليها ولكن نظرتها لم تكن تحمل أي تلميح بالسخرية وإنما بياويي اهتمامه الرقيقة، وأضحت:

«هوذا بأن يعني بلد يا غرامي، إنه يعرف به تعنيته بالنسبة الي».

كانت هذه العرائف تنجبه مباشرة الى خطوط دفاعها فلقد جفت حينها طوال الليل.

وتهددت وهي تنظر عبر الردهة الكبيرة المريحة وقالت:

«أنا شيء جميل لأن يعود الانسان الى بيته».

ويطلق بنيلامين

هكذا هو أهدح ما سمعته منك.

«إنه حقيقة»

بانت الطرق البيضاء بينما في وقت لا يكاد يصدق وبدأت تفكر كيف تصبح جزءاً من الأسرة ومن العمل بينما كان الموقف بينهما وبين غراي أخذ في التآزم لأسباب عديدة.

وخرجت في تلك الأمسية إلى الاصطبلات لمشاهدة الفهر، وهناك رأت هومينيك، كان يصفر وهو ينظف الحصان الكبير الأسود لوسيلر وهلت ترفه لحظة قبل أن يراها، وفكرت في أمرين من جديد، كانت لهومينيك نظراته الطليقة وهي الأنظر الكثيف وكان من الزاوية التي تلف فيها يشبه أمرين الذي نلر بحبها الأول، والتفت وللت.

«توني لقد رجعت! عظيم»

وعبر لوسيلر براحة يده على رقبته ورفعه إلى الاصطبل ثم أطلق الباب وجده ليعانقها قاتلاً.

«كنت أكرهك في هذه اللحظة بالذات»

«لا تخلي ذلك... أنك تبدو راحياً عن نفسك تماماً»

«الحقيقة أنني كذلك، فالأمور تتحرك سريعاً، في عالم هومينيك فنتش والطريق إلى الفضاء المضيح يفتح أخيراً»

حقاً؟ كيف؟

«لذا كبري أنني قلت أنني لن أفكر في استراليا إلا إذا لاح شيء في مستقبل... أنت... ويبدو أن هناك جديداً في هذا الشأن شيء لم تكن تتوقع أن يحدث بهذه السرعة و أن تريد أن تراك... للذهبي إلى الكوخ... فهي تعتقد أنك مهدت لها الطريق بشكل ما»

أنا... أنا لم أفعل شيئاً

وهز كتفيه، وقال

«أنا لا أعرف في أي حال أتعني تنسعي منها بتلك» وسألتك بك عند الساعة

الرابعة والعشرين»

وقالت توني:

«سأفعل ذلك»

والجهد طريقها، ولكن ناداهما ثانية، وقال:

«هل فكرت في العرض الذي اقترحه عليك يا توني»

ولم تقول أن تتظاهر بعدم الفهم، وقالت:

«بصراحة، لا لقد عرفت ذلك إلى ما كنت فيه من نشوة مع شباب الفلاحين»

وهز رأسه بقوة وقال:

«ولا على الإطلاق، لكن ذلك الاحتفال فقط أعطاني الشجاعة لأطلب منك ذلك... أعتقد أن حياتنا معاً في استراليا ستكون حياة سعيدة»

وواصل يقول:

«ربما أكون قد تجاوزت حدي، يا توني عندما تقدمت بحبة ابنة أخ بنيلامين

وأربعين... ولكني لا أستطيع الرجوع، لقد جئت بك يا حبيبتي»

ثم تكن تنظر ذلك منه ولم تكن لديها إجابة حاضرة، ونظرت إليه وهي تفكر:

«هل من الممكن أن تبحث الحياة في حلم ذابل»

وبهتت يدها على قناعه في رقة وقالت:

«لأنك لا تترك عرفت حل ذلك يا حبيبتي ولكن الموضوع ليس وارداً بعد»

واخضت الإكراه من عينه وقال:

«حسنًا، ولكن لا تخلي نفسك هذا الشعور بالاعتذار يا توني، فلنلق أنني

ما كنت أعلم بأن أكون سعيد الخط إلى هذه الدرجة، ولكن دعيني أعرف لورغيت

وأهلك، هذا كل ما أطمح فيه»

والتفت إلى الجدار وسمرت توني تجاه الكوخ، كان الأمر يصبح يسيراً لو

لأنها أخذت أن تسافر مع هومينيك إلى الطرف الآخر من العالم حيث لا ترى

غراي ولا يراها ثانية، وبهتت نفسها في سحره.

«عرضان بالزواج في يومين متتاليين! لا بد أن شيئاً ما قد حدث عندما وافقت على أن تتقدم بطلب العمل إلى شركة ولريز»
ورجعت بها أن كانت صديقة العمر، كانت أكثر شبهاً وحيوية وكانت حينها تلميذ، وقالت:

«إنني سعيدة لرؤياك يا توبي لعالي وإجلسي عيني الكثير من الأختار لك»
ولمحت عن كوث وعن نفسها، وكان من اليسر أن تتابع القصة كما حكتها أن... كيف تذهب إلى المدرسة وكيف تلاحظ في البداية وكيف علموا الإغراء لأن كيث كان متزوجاً وكيف بدأ لمحبها بالحب.
وقالت:

«لو كان هناك أطفال أو لو أن زوجة كيث كانت طارئة لتخلصت منه ولكن ليس لديه أولاد، وسادت حياته مع زوجته إلى حد كبير. ولقد ورثت زوجته مبلغاً طائلاً وطلبت إليه أن يترك عمله كمدرس للفنون، فذهب مشروعات ضخمة وحاولت القائه بالذهب إلى لندن أو الخارج لتعيش الحياة التي تريدها، ولكن كيث لم يوافق وتساءل بسبب ذلك فجاء قائم ولا تصبرين كيف جعلت حياته حياً ومثلاً، ولكنه شخص القصر، ولقد صبر على ذلك سنوات حتى تذهبنا ووقعنا في الحب، ولم يكن يستطيع أن يتركها حتى ذلك اليوم رأيت في هناك، وأخطأني... فظن أنك أتت... تذكرين ذلك؟ كانت تلك لحظة التحول فقد افتح أن حالنا لن يستمر على ما كان عليه ولأن الناس سوف يعرفون وتنتشر الشائعات في المدرسة».

وحاولت توبي أن توضح:
«ولكن...»

وقاطعتها أن تقول:

«لم يكن يظن أنك تفشين سراً، ولكن ذلك فتح عينيه على ما يمكن أن يحدث، وجعله يتخذ القرار بأن يضع حداً للموضوع. ووصل الأمر إلى عراك كبير عندما أخبر زوجته، ولكنها تركته وذهب إلى أصدقائه في لندن وسوف يحصل على

حريته في أقرب فرصة ثم تزوج، ليس عندك فكرة يا توبي، إنني أوصي كثر حلاً كبيراً للزواج عن طريقي».

وبدت المصروع في مقلتها.

ولدت توبي في أخلاص:

«إنني سعيدة جداً لك، وكنت أظن أن هناك شيئاً يهملك تبهين مكتوبة بعض الشيء»

وعلمت أن:

«كان أمراً صعباً ولكنني أعتقد أن أسوأ ما هناك أنتهى بالنسبة إلى كليث، لا يلام الرجل ذاتها عندما تكون هناك امرأة أخرى ولكن الناس لا يأخذون في اعتبارهم أن المرأة أحياناً تكون صعباً لا يطاق لرطبها، كما حدث مع غولي»
لم تستطيع توبي أن تلهم مائمه وظلت لبرهة تحاول أن تستجمع خبط الحديث، ثم قالت:

«كنت أظن أنه رواج مثالي ولذلك لا يستطيع غولي أن يسي مودج»
وسألها أن في سريرة:

«هل قال لك ذلك بنفسه؟»

«لا لم يقل ذلك، المهم بنيامين هو الذي قال أعتقد أنه ذكر أن غولي شعر بخسرة فادحة جعلته يشعر بالفرقة ويحاول أن يساند صعب المراس، وهذا يفسر سلوكه في محادثتي».

وفكرت أن عليها، ثم قالت:

«كنت أعرف صيدج جيداً، كنا معاً، ولم تكن تسي أبداً أنت أميرة صغيرة، كانت كل ما بقي لبنيامين من أسرته ودلها وأعطاها كل ما طلبته بل أفسدها بتدليله ولم يرها على حقيقتها، كانت أمانية تماماً وكنت أظن أنها ستغير عندما تزوجت غولي ولكنها ظلت تروح أمانياً بأنها تلوي غولي كما تلوي أصعبها الصغرى رغم أنه كان يحبها ويحفظها كل ما تطلب وكانت تعاملها كما تعامل بنيامين».

والتفتت أن في كآبة وقالت:

هولكتني اعتقد أن غراي كان خطأ عتقاً قاماً ولأنني أعرف ميدج فقد كان
يوسمي أن الكليل ما يدور.. ولقد حدثني ذات مرة.. من باب المبهلة أن لها
طريقها في أن تجعله يفعل ما تريد كان ذلك أفضل ما يمكن أن تستمتع امرأة
برجل..

ودعت توني.

هل تعلمون أنها كانت...

ونظرت إليها أن وقالت:

«كانت محرومة من عواطفها... لم تكن ميدج تهتم بالآخرين على الإطلاق بل
كانت تستغلهم، استغلت دومينيك بهذه الطريقة أحياناً ونجست في أن تجعل
غراي يشفق بها»

وعظمت توني.

نعم لاحظت ذلك...

كان كل شيء يتضخم الآن، وراحت توني.

ولم يكن بينهما يعرف شيئاً مما يدور.

وهزت أن رأسها وقالت:

«كانت ميدج في عيبه الكمال ذاته وكانت محرومة على أن تبقى كذلك. ولم
يكن غراي يريد أن يعرف الرجل الصبور الحقيقة، وتحول بهي الوقت إلى
رجل أكثر صمتاً وكآبة بيتاً صارت ميدج أكثر طيشاً ولحمياً بالظفر كان أحد
أصدقائها سائق سيارة سباق، وكان ذلك عندما اشترت السيارة التي قتلها في
أرادت سيارة فضيلة قوية فلفت النظر وأغريا وجدت الشيء الذي لم تستطع أن
تسيطر عليه»

والتزمت توني بالصمت، ودار عقلها حولها عن أن يتكيف للعوف الذي

انقلب فجأة رأساً على عقب، ونظرت إليها أن وقد ابتليها القلق وقالت:

«لنرم نفسي لأنني تكلمت! كنت أشعر أنك ينبغي أن تعرفي. وربما يحبك أن

تعرفي...

وقالت توني في بطن.

«كنت محبي قداماً... ولكن سامعتي يا أن لا أريد أن تتحدث عن ذلك الآن.
هل أكون قليلة اللوق إذا طلبت منك ألا أبقى أكثر من ذلك»

ونظرت إليها أن نظراً للقلق وقالت:

«بالطبع لا... ولكنك ستأتين مرة ثانية»

ودعنها توني بالزيرة، ودعنها، وسارت عبر الحديقة الجرداء وبدا من أن
تفقه إلى أبيت عبرت طريق السيارات ووجدت فيها غير مهذب تنفس عليه
الأحجار والطبق، وراحت السير وهي لا تلاحظ ما يحيط بها، وأستولت عليها
فكرة واحدة، لم يكن غراي يعيش عيشة حبلى جامع، ولم يكن يحاول أن
يتجمل أنها ميدج. ولم يكن يحب ميدج بل كان تقيماً للنهاية معها، لو كانت
أن صديقة لها قالت... ولعلها قلبها فجأة بالمعطف عليه. لابد أن ظهورها خلق
له موقفاً لا يحتمل، كان يحارب شيء يتوارده من كل الجهات، وربما طلب الزواج
منها ليرتاح من النبح وأحست بأنها بدأت تفهم ولكن قليلاً وأرداد حبها له
عصفاً الآن بمحاطة لئلا كل كيانها وطقت في النهاية على هيئة بكاء وأخذت تتعثر
وهي تسير بأكية بوس غراي وبؤسها، والموقف الذي يوجدان فيه

وأخذت تسير وتسهر على غير هدى، وكانت هناك فكرة واحدة تسيطر على
عقلها. كانت تحب غراي وعلى استعداد لأن تعمل أي شيء من أجله ولكنها
بسبب وجه النية بينها وبين امرأة أخرى كانت عاجزة عن توفير له إلا استعاضة
والقلق

كانت تدرك بطريقة غامضة أن المطر يتساقط ولكن الطقس كان يتناسب مع
حالتها النفسية. المزارع الجرداء... والشجيرات الخالية من الأوراق والشمع
الفرش.

وجامها الحل من حيث لا تدري وأوقفها ساكنة في خطوطها، لو أنها تروجت
دومينيك وذهبت معه إلى استراليا قبل غراي سيتخلص إلى الأبد من

متابعها ولن تكون خدعت دومينيك فهي على استعداد لتعطيه كل ما يشاء
وربما تعلمت أن لعبه يضي الوقت ستنتفحها أمها بالطبع ولكنها لن تقف في
طريقها فضلاً عن أن سعيها بالنهاية في الطرق البهيمية تهتم بالبيت وبينامين
والد انتقل المصعب إلى هنا فاستباح لها الفرصة لاتباع مواهبها في التنظيم. وأما
عن بينامين فسيحذر بعض الشيء، ولكنه تعلم الحكمة من حياته الطويلة
ويعرف أنه من المحال أن يحتفظ الإنسان إلى الأبد من محب. نعم هكذا فكرت
توني وقد خف ثوبها بعدما أخذت الفرار الذي بدا أنه للخرج الوحيد وكانت
على استعداد لأن تضي به إلى النهاية وكانت تبحث عن دومينيك الآن لتخبره.
والنفقت وبدأت تجري لتبذل ذلك على الفور. وأخذت تجري وتجري وهي
تلثت بعض الشيء وقد خفضت رأسها حتى لا تتعرض للمطر للنهر وهي تسلك
بمسلكها حول والبتها.

وعندما تذكرت ما حدث بعد ذلك بعدة أيام عرفت أنه كان من غير الممكن أن
تطارد السلوط في منطقة حجرية غير مستوية وتطرح أرضاً على معدتها في
منطقة طينية ولكن سر خطو حده هو الذي جعلها تصطدم ببعض الجذور القوية
الباردة واشتباك مفصل قدميها ولم تستطع أن تخلص نفسها
لم تصدق في أول الأمر أب أصيبت بالفعل وكانت تعتقد أنها خلال دقيقة أو
دقيقتين سوف تجد الحركة الصحيحة التي تخلص قدميها وتسمح لها بالحركة،
وجلوت أن تحرك قدميها بحذر ولكنها بقيت محسورة.

لم يكن ما حدث شيئاً متوقعاً إذ كان لا بد أن تعود إلى الطرق البهيمية
للتأكل دومينيك ولتخبره بقررت وصارعت لتحريك جسمها مستندة على
مرفقها. ولكنها لم تستطع أن تتحرك إلا حركة بسيطة إلى اليسار وعندما جلوت
أن تتدحرج في الاتجاه المضاد وجدت أن جسمها كان حلقياً تماماً مثلها البعض.
وأخيراً دعت ببعضها إلى أعلى ودراعتها مشياً وفكرت بكل قوتها أن تتدحرج على
الأرض إلى الأمام كما تفعل الخنثى وحيل إليها أنها كبرت قدميها.

وسقطت على الأرض تكي في صمت ونظمت باتس بسبب سوء الوقت.

وتصلب وجهها وانصرفت به خطوط من الطين بدت كأنها أجزاء من شريط
لاصق. وأحست بطعم التراب المبتل في فمها وحاولت أن تنظفه ولكن يديها كانتا
مغطيتين بالطين كذلك. كان المطر ينهمر بلا رحمة وتشربت ملابسها بالماء
وانساب على المطر على عنقها.

ولم تكن تعرف سوى أنها في الغراء البارد بين الحطول الجرداء الرطبة وأنها
ولدت في شرك حقيقي.

ولم يكن يلزم معنى لقد رقدت هناك بالأسف تماماً لحد أن تخلص نفسها بين
خطة وأخرى ولكن جهودها كان يتضائل المرة تلو الأخرى وأصبح كفت من
الحلولة. وأخذت تصرخ ولم يكن ثمة من يجيب سوى هبات خطر تهطل
بطريقة لا تنقطع. ترى هل أحس سكان الطرق البهيمية بنهبها؟ متى أحسوا
بمسون بذلك؟ وحتى لو أحسوا فهل يعرفون أين يبحثون عنها؟ ولزعدت في
عصبية. كان من الممكن أن تموت من التعرض لبردًا وللهفت بطريقة هسيكية.
كل شيء أعشى عليها لفترة فقد وجدت أن الظلام بدأ يوحى سنوله عندما
لمتعت عينيها. وولعت رأسها في ورن، ورأت ضوءاً خافتاً على البعد. ربما كان
ضوء كوخ لمن. ولزعدت أمام عينيها صورة الغرفة المريحة والنار والدفء
وبدأت تكي من جديد بدون أن يسمح لها صوت والدموع تسيل على وجهيتها
لتضبط بحبات المطر...

ورأت ضوءاً آخر يتحرك ليقترب منها. وسعدت صوتاً ينادي.

توني! توني!

وشهقت نفسها عبقاً، وصارعت في صوت متهدج.

هنا! أنا هنا! أدركوني! أدركوني!

كان الذي أجابها صوت غراي. جاء كمعجزة، غراي الذي ركع إلى جوارها
ومس وجهها الباردة المبتلة وقال:

دعيني لا بأس. ياتوني! انني معك...

وأخذ ضوء المصباح يتحرك فوقها، وأحست بشيء يقطع إرباً إرباً ذلك الشيء.

الذي كان يسلك بمفصل قدمها. وأصحت بالخلاص أخيراً فتخرجت على ظهرها وولدت عاجزة عن الكلام. وحملتها الذراعان القويتان تجاه الفواخات الحديد.

«ما الذي جعلك تملئين هذا يا عزيزتي توتي؟ تسيرين في الحقل أنته الطر وحدك»

شيء ما كان يسلك بمفصل قدمها. وأصحت بالخلاص أخيراً فتخرجت على ظهرها وولدت عاجزة عن الكلام. وحملتها الذراعان القويتان تجاه الفواخات الحديد.

«ما الذي جعلك تملئين هذا يا عزيزتي توتي؟ تسيرين في الحقل أنته الطر وحدك»

وأخذت السيدة وارين تروح وتجيء في الغرفة ظهراً الواسع وتعدل حرارة الغرفة وقالت:

«قلت أنا وبينامين عليك، هنا في أول الأمر أنك تزورين أن وعندما ذهبت إلى الكوخ وقيل لي أنك انصرفت منذ ساعة ثم أعرف كيف انصرف». وأراحت توتي رأسها إلى الحائط، واهتمت، فبعد أن أخذت حذاءً مائلاً وكوباً من الحليب الساخن أصحت بالراحة والاسترخاء... كان لبشرتها وجه فلان واتسدل شعرها الذي لفخص من الطين على الوسادة وجف في مجلس السائق الحصري المقلد، وكان شيئاً طيباً أن لمس بأنها إنسانة من جديد كتبت لها الحياة ولن تموت.

وأخذت تشرح القصة من جديد للمرة التي لا تعرف عددها:

«كنت راجعة يا ماما ولزحظي حشرت قلبي في ذلك الجذر»

ولم تذكر أنها كانت تجري - تجري بوحشية وبغير اكتراث انصرفت على دومينيك ولشعرها أنها تقبل به زوجاً وتقطع إلى الأبد تلك الرابطة التي وجدت أنها وهراري ترتبطان بها في مصر مؤسف.

وقالت أمها في طعنة فيها شيء من التأنب:

«مازلت أعتقد أنك أخطأت إنني غافرة لأعد لك العشاء وسيكون عليك أن

تأكله كله ثم تتلعي نوماً هادئاً وإذا لم تلتعت درجة حرارتك ستطلب الطبيب في الصباح لمحضك»

وانتهت إلى الباب تقول:

«صوف ينهض بينامين ويراه، كان قلقاً عليك»

واضطجعت توتي وأغلقت عينها وسعدت طرفاً على الباب بينما كانت تستغرق في النوم.

واهتمت تولعا لدخول بينامين وأسدت جفניה وقالت:

«أدخل»

ولمحت عينها ونظمت:

«هراي! كنت أظن أنه العم بينامين»

وعلى قائل:

«صبح لي أن أتوب عندك هل لديك أهراي»

وأصحت بالمجمل وقالت:

«لا... بالطبع لا»

وجلس إلى جانب فراشها يقول:

«كيف حالكم؟ هل أصابك أي ضرر»

كانت لحيته وهدوءه وبدأ أنه نسي كيف انفردا في الليلة السابقة.

وأجابته:

«إنني بخير... ولا يوجد ضرر حقيقي... مجرد احتكاك وكدمة خفيفة في مفصل القدم، وقامت أمي بعمل الاستعاقات اللازمة، لا بد أن أدم لك السكر لتعالج

من تلك الحفرة الفارقة، كيف عدت؟ وكيف عرفت مكانتي»

واستند إلى كرسيه وقال:

«الاجابة على السؤال الأول - رجعت في سيارتي ورجع الفضل إلى الشرطة في

التحور على مكانها شمال وانفرد في السادسة والنصف من صباح اليوم وعدت

بأسرع ما أستطيع لأخبري وددت أن أحدث اليك. وبالنسبة إلى السؤال الثاني -

عندما لم أجده عند وصولي بحثت عنه في كوخ أن وعرفت الوقت الذي
تركته فيه الكوخ وحسناً... لا بد أن أعترف أنني أصبحت وقتاً لا بأس به في
الوصول إلى مكانك، وكانت أمك وبنيتان أيضاً.

ونظر إليها نظرة حادة وقال:

«لما حاولت مرة أخرى أن أخرجي وحيداً كما فعلت، أيتها الشابة الصغيرة»

وقالت في وهن:

«أسفة... سببت لكم المتاعب»

«فعلت...»

وتبع ذلك فترة صمت طويلة قال بعدها:

«تحدثت إلى أن...»

وعلمت تولي:

«أوه...»

«تحدثت إلى... وكانت مضطربة لليلة... وفقت أنها ربما كانت غير حكيمة

عندما ناقشت أموراً تمت إلى حياتي الشخصية معك، لكنني طمأنتها»

وقالت للمرة الثانية:

«أوه! حسناً»

وتركته هدوء فجأة وضرب ذراع الكرسي براحة يده وقال في حدة:

«لماذا خرجت تضربين في الحقل تلك السرعة بعد أن سمعت حديث أن؟»

وبللت شفتيها، وقالت:

«كان علي أن أفكر...»

وتقطعت من صوتها، وقالت:

«ذهبت كل شيء على حكي ما كان الواقع...»

واستجمعت شجاعته، وقالت:

«أحسني بنيامين وأرادني لوجه الشبه بيني وبين حيدج، وأنت أهديت كرهك

ومفارمتك لي وكنت أظن أن ذلك راجع إلى أنني كنت كالحقوى المرة التي تذكره

بكل ماقتدته، وأنت في كل مرة تراهي كنت تذكر معادتك معها، وظننت أنك كنت
تغازلي لتخمس عينيك وتتخيل أنها بين ذراعيك... وكنت أمل أنك بمرور الوقت
تتقبل خسارتك كما يفعل الناس وربما صرنا أصدقاء بعد ذلك وعملنا سوياً»
ولوماً في بطنه لفتلاً:

«ثم اكتشفت اليوم في فترة ما بعد الظهر أن حيدج لم تكن الملاك الذي رسم

بنيتان صورته لك وجعلك تصدقينه؟ الحقيقة هي العكس تماماً...»

وقالت في بساطة:

«نعم... يا غرابي... إنني آسفة... لم أكن أفهم... ولكنني أفهم الآن قليلاً، أنني

أفهم لماذا يعتبر وجودي قريباً منك شيئاً مؤلماً لك وشيئاً لا يحتمل، وعندما كنت

أفكر أن قربي منك يذكرك بالحب والسعادة كان ذلك أمراً صعباً بما فيه الكفاية

ولكنه كان محتملاً، أما إذا كان كل ما أذكرك به هو الاحباط والبؤس، فلا أمل أن

يتواجد كلانا معاً، وهناك بين الحقل توصلت إلى قرار، قررت أن أحل المشكلة

بأن أذهب إلى مكان بعيد»

«سوف ترحلين؟ وإلى أين؟»

وحاولت أن تجعل وجهها يبدو هادئاً وعادياً بوجهه كبير، وقالت:

«إلى الطرف الآخر من العالم... دومينيك... ذاهب إلى أستراليا وطلب إلى أن

أزوجه وأن أذهب معه إلى هناك»

«هل تحبته؟»

«نابا على ثقة من أنني سأحبه...»

«ولماذا إذا تعتقد أني طلبت الزواج منك؟»

«واتسعت عيناها، وقالت:

«أعتقد...»

ثم تولفت ولد اجرت خجلًا:

«وقال لها:

«أفرضعي...»

«اعتقدت أنك كنت تبحث عن مرور مجهز لنا أن تبت معاً في الثقة بدون أن
تكت بروعدك الهياكل».

ولال في حرارة:

«نعم! أهن أنني استحق ذلك! هات ما عندك وماذا أيضاً سول لك عقلك
الصغير عني».

«ظننت أنك خرجت لتقضي الليل مع مارشا لقد بدأ يشكك به كثير»
«بالفعل بيننا هذا الود، مارشا امرأة عظيمة، ولكن هناك رجل واحد يستطيع أن
يضي الليل مع مارشا، ذلك الرجل هو زوجها بغير. ولقد انتهى لونه من
تصوير فيلم في روما. أنه صديق كبير لي وسوف أعيده... لا... لمضيت الليل في
النفس لمن نفسي لأتني كشفت عيا في نفسي وطلبت أن تزوجيني».

وقالت في صوت خافت:

«لم يحدث خطأ كبير».

وقال في خشونة:

«بالطبع كان في ذلك خطأ كبير... كنت غير مولق في الليلة الماضية بدرجة لا

تصدق ولا عجب في أنك وعدتني بخفي حنين».

«ولكنك لم تكن جاداً».

«كان لا يزال ينظر إليها وقال».

«لم أكن جاداً في حياتي كما كنت بالأسى ولكن التوقيت لم يكن متأسفاً».

«اذن خللا خرجت بذلك الطريقة».

«وابتسم ابتسامة غشيلة وقال».

«لماذا؟ ألا تحبين بما تتعريته من اغراء أيتها الشابة؟ كنت أود أن أبقى وأترافع عن
نفسيتي ولكنني بشر يا حبيبتي وكنا وحدنا في شقتي وكان كل ما أستطيع هو
أن أنصرف بأسرع ما يمكن... وهذا ما فعلته...».

«كانت تجلس في السرير المغطى بالملابس البيضاء وقد حبست أنفاسها في
ترقب وانتظار، وقال غراي».

«أنتي على ثقة من أنني لست شخصاً يحب مثل دومينيك ولكن هل يوسعك
أن تحبتي؟ لأنني أحبك وأريدك معي ولا أستطيع أن أبقى بدونك».

«وأطلقت أنفاسها في تنهيدة طويلة وترقررت الدموع في عينيها وقالت في
صوت أبح».

«لا أستطيع أن أحاول ذلك... ظلت أقام من أجل ألا أحبك منذ أول مرة
التقينا فيها».

«وأخذ وجهها بين يديه وصار ينظر بعين في عينيها وقال».

«عيناك الخلفان عن عينيها لأن عيناك فيها الصدق والشفقة والكرم، ولقد
عرفت منذ البداية أنك لست مثلها ولكنني كنت أحاول ألا أصدق نفسي فقلت
لقد كنت بهذا بشكل كبير عبر السنين».

«وحاكتها ولال».

«نجيت في أن تحلي هذه العقدة في أسبوع يا حبيبتي...».

«وعرفت بالتأكيد عندئذ أنه ليس هناك ما اقتضاه من الماضي وقد يتحدث إليها
عنه في يوم من الأيام لذا ما رغب في ذلك ولكنها لن تستفسر أو تسأل بحال من
الأحوال».

«وعاد إلى كرسيه من جديد وأخرج من أحد جيوبه الخارجية صندوقاً صغيراً من
الجلد وقال في ابتسامة».

«وتطبق مرة واحدة الأسلوب الصحيح والرسيمات، التهرت غرصة فعاقي إلى
برنسريت لأحضر هذا قبل أن أنصرف».

«وحست عن قصد وأهناقه».

«ككليل على الأخلاص والصدق».

«ولتح خطاه الصندوق ليكتشف عن خاتم يتكون من ماسة واحدة شكلت
بهيئة جملتها تلالاً وتضع ثلثها أمام عينيها للتمهيد».

«وقال غراي».

بأنها ماسة حفيظة. انتي لا أحب التقليد.

ولقد كنت توتي قدرتها على الكلام. ولأخذت لمحق بدون أن تتلق بشي... الله
الحاتم الجميل بيها أخذ غراي يضعه في أصبعها. كلن الحاتم مناسباً تماماً
للأصبع. وقال:

«هل يحبها مناسباً؟»

«نعم»

ولم تستطع أن تحبس التمرح لفترة أطول فقد كان يوماً متعباً.
وأخذ غراي مسح عينها حتى عادت الانصاف إليها ثم قبل أصبعها
وعليه خاتمه وورق رأسه وحينئذ ترصصان في غيب وقال متعظاً:
«وانه لكم كبير... ها أنت أخيراً هنا حيث جئت بالحياة معك... وبما أنك تهدين في
حالة صحية وأهنة فانتني أكتفي بأن أكبل يدك ولكن انتظري يا حبيبتي... أرجو
أن تنتظري لئلا أعرف عندما صغياً يطل على بحيرة وزهور الربيع في اللوح
حول في كل مكان».

شربتها البهجة والفرح لتزيل عنها الشعور بالتعب والاضطراب بالحياة والطاقة
وجلست وقد مدت كلتا يديها نحوه. كانت تريد أن تعطي وتعطي وألا تحبس
شيئاً تظهره للشراة المقلقة.
ولقدت وهي تعانقه:

«هلستنا غداة السماء. أهو أول يوم تزهر فيه أزهار الربيع حول ذلك المكان؟»